جامعة بيرزيت

Birzeit Universty

كليّة الدّراسات العليا

برنامج الماجستير في علم الاجتماع
(التّنمية والسّياسات والبحوث الاجتماعيّة)

رسالة ماجستير بعنوان:

اتّجاهات الأطفال ومعارفهم في مخيّمات محافظة بيت لحم نحو مكان السّكن الأصليّ لعائلاتهم المهجّرة ونحو العودة إليه

إعداد الطالب: نائل فتحي محمد المساعيد

إشراف: الدكتورة رندة ناصر

قدّمت هذه الرّسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير تخصّص علم الاجتماع في كليّة الدّراسات العليا بجامعة بير زيت

فلسطين

2011

Birzeit University

Faculty of Graduate Studies

Master's Program in Sociology

Attitudes and knowledge of children in Bethlehem Governorate camps with regard to original place of inhabitance of their displaced families and the prospects of returning to these places.

Submitted By: Nael Fathy Al-Msaeed

Supervisor: Dr. Randa Nasser.

Co- Supervisor: Dr. Abaher Elsakka.

Dr. Suha Hindiyeh.

This thesis is submitted in partial fulfillment of the requirements for the Master degree in the Dep. of Sociology, Faculty of Graduate Studies, at Birzeit University – Palestine.

2011

اتّجاهات الأطفال ومعارفهم في مخيّمات محافظة بيت لحم نحو مكان السّكن الأصليّ لعائلاتهم المهجّرة ونحو العودة إليه

رسالة ماجستير مقدّمة من الطالب:

نائل فتحي محمد المساعيد

تاريخ المناقشة: 2011/5/30

لجنة المناقشة:
الدكتورة رندة ناصر ـ رئيساً .....
الدكتورة سهى هنديّة ـ عضواً.....
الدكتور أباهر السّقا ـ عضواً.....

قدّمت هذه الرّسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير تخصّص علم الاجتماع في كليّة الدّراسات العليا، جامعة بير زيت- فلسطين

2011 م

المحتويات

الرقم	المبحث	الصفحة
1	الإهداء	.....
2	شكر وتقدير	.....
3	ملخّص الدّراسة	.....
4	ملخص الرّسالة باللغة الإنجليزية (Abstract)	.....
5	المقدّمة وأهميّتها	4 -1
7	**الفصل الأول: مراجعة الأدبيّات**	**5**
8	**أولاً: الإطـــار النّظـــــري**	6
9	التّهجير القسريّ/ الاقتلاع من المكان، وبناء مجتمعات في الذّاكرة	8 -6
10	العودة إلى المكان الأصليّ (الوطن) في أدبيّات اللّجوء	10 -8
11	النّظريات السّوسيولوجيّة التي تفسّر ذاكرة الجماعات التي اقتلعت من أماكنها الأصليّة	13 -11
12	**ثانياً: الدّراســـــات السّابقة**	14
13	المشكلات التي واجهت اللاجئين الفلسطينيّين، والأسباب التي حالت دون عودتهم إلى أماكنهم الأصليّة	15
14	مواقف الأطراف الفلسطينيّة والإسرائيليّة من حق العودة	19 -16
15	موضوع حقّ العودة للاجئين الفلسطينيّين ومعرفتهم بالمكان الأصليّ وتمسّكهم به	21 -19
16	آراء أو مواقف اللاجئين الفلسطينيين وخياراتهم وأفضليّاتهم في مسألة حقّ العودة وقراراته الدوليّة	24 -21
17	قدسيّة حقّ العودة	25 -24
18	**الفصل الثاني: منهجيّة الدّراسة**	26
19	أهداف الدراسة	27
20	فرضيّات الدراسة	27
21	مفاهيم الدراسة	28 -27
22	التّعريفات النّظريّة	29-28
23	أداة قياس المفاهيم	33-29
24	مجتمع البحث والعيّنة	34 -33
25	خصائص أفراد العيّنة السّكانيّة (الدّيمغرافيّة)	36-34
26	منهج الدّراسة وأسلوب جمع البيانات	36
27	**الفصل الثالث: نتائج الدّراسة**	37
28	تحليل المقابلات ومناقشة نتائج الدراسة	38

29	محاور أو أبعاد الدراسة:	38
	معرفة الفرد وانتمائه إلى المكان الأصليّ وتفاصيل الحياة السّابقة	50-38
	أهميّة المكان الأصليّ للفرد وأسرته واهتمامه واهتمام أسرته بالعودة	58-51
	معرفته بمعنى حقّ العودة وقرارات حقّ العودة الدوليّة، واعتقاده بإمكانيّة تحقيق العودة وكيفيتها وشعوره نحو العيش في المخيم	66-59
	جهات/ مصدر التّوعية بحقّ العودة والمكان الأصليّ	71-67
30	الخلاصة	73-72
31	قائمة المراجع	82-74
32	ملحق الاستبانة	86-83

الإهداء

إلى كل لاجئ فلسطينيّ بعيد عن بيته وأرضه وإليها مشتاق

إلى أجدادنا وآبائنا الذين رحلوا حاملين معهم ذكريات الألم لوطن ضائع مغتصب

إلى الذين حملوا معهم مفتاح البيت وطابو الأرض وما زال أبناؤهم وأحفادهم يحتفظون بهما ويحلمون بالعودة إلى قراهم ومدنهم الأصلية

إلى أشجار الصّبار والزيتون وركام البيوت التي ما زالت تنتظر عودة أصحابها إليها

إلى شهدائنا الأبرار ومعتقلينا البواسل

إلى الأطفال الذين لولاهم لما استطاعت أقلامنا أن تكتب هذه الصفحات

إلى أسرتي؛ والدتي وزوجتي وأبنائي الأعزاء

أهدي إليهم بحثي هذا

شكر و تقديـــر

أتقدّم بخالص الشّكر والامتنان إلى الدكتورة رندة ناصر مشرفتي القديرة، على حسن تعاونها معي طيلة فترة إعدادي لهذه الرّسالة، فقد قدّمت لي الكثير من التّوجيهات والإرشادات لأتخطى المصاعب العلميّة التي واجهتني من أجل إتمام هذه الرّسالة على أفضل وجه.

كما أتقدّم بخالص شكري إلى أعضاء الهيئة التدريسيّة في برنامج ماجستير علم الاجتماع بجامعة بير زيت على جهودهم المثمرة في رفدي وزملائي بالعلم النّافع، وأخصّ بالشّكر عالمي الاجتماع وعضوي لجنة مناقشة الرّسالة: الدّكتورة سهى هنديّة، والدّكتور أباهر السّقا على تحكيمهما لرسالتي هذه وعلى ما قدّماه لي من توجيهات ونصائح سديدة انتفعت بها في تقويم مادّة بحثي. والشكر موصول إلى الدكتور زين العابدين العواودة من جامعة بيت لحم الذي قام بتدقيق الرسالة من نواحي لغوية ونحوية. والى الاستاذ عماد ابو دية لمساعدته بالترجمة.

وأتقدّم بجزيل شكري كذلك إلى مركز بديل؛"المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين"الذي زوّدني بالعديد من الدّراسات والأدبيات التي تخصّ اللاجئين الفلسطينيين وحقّ العودة.

وأتوجّه بشكري وعرفاني إلى الأطفال الفلسطينيّين من العائلات اللاجئة المقيمة في مخيّم عايدة وفي مدينة بيت لحم على تعاونهم معي في سبيل إنجاز هذه الرّسالة.

ملخّص الدّراسة

تهدف هذه الدراسة التّعرّف إلى سلسلة من الأمور التي تتعلق بمعرفة واهتمام الأطفال من المكان الأصلي الذي شرد منه أجدادهم، وبطريقة الحياة التي عاشوها في هذا المكان، وبالمصدر الذي تعرفوا إلى المكان الأصلي منه، وبشعورهم نحو العيش في المخيم، واعتقادهم بإمكانية العودة إليه، ومعرفتهم بقرار الأمم المتحدة (194)، وأيضاً التعرف إلى مدى معرفة الأطفال من خارج المخيم باسم المكان الأصلي لعائلاتهم المهجرة. وذلك لمعرفة مدى إبقاء الذكريات حيّة في ذاكرة الطفل والحنين للعودة. وتهدف أيضًا التعرف إلى أثر مجموعة من المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية على معرفة المكان الأصلي والاهتمام به والحنين للعودة إليه والاعتقاد بإمكانية العودة.

واستخدمت في هذه الدراسة منهج المسح بمستواه الكيفي Qualitative level لجمع البيانات؛ وذلك عبر أسلوب المساءلة في مقابلات مباشرة تشتمل على نوعين من الأسئلة؛ مفتوحة ومغلقة، أمّا النّوع الأول فتكوّن من استطلاع الخلفية الديمغرافية والاجتماعية للطفل وعائلته، بينما احتوى النّوع الثاني على ثلاثة عشر سؤالاً مفتوحاً تقيس اتجاهات الأطفال ومعارفهم في مخيمات محافظة بيت لحم نحو مكان السكن الأصلي لعائلاتهم المهجّرة ونحو العودة إليه. وبنيت الدّراسة على عيّنة متاحة غير عشوائية من المهجّرين مكوّنة من خمسين طفلاً من (الذّكور والإناث)، وممّن تبلغ أعمارهم 14 سنة إلى 20 سنة، والذين يسكنون في مخيم عايدة، ومدينة بيت لحم.

وأظهرت نتائج الدراسة أنّ جميع الأطفال المبحوثين ونسبتهم (100%) لديهم معرفة بأسماء قرى ومدن أهاليهم التي هجّروا منها عام 1948، ولا توجد اختلافات في نسب الأطفال الذين يعيشون في المخيم أو ممّن يعيشون خارجه من الذين يعرفون اسم المكان الأصلي، وتوجد لدى (72%) من نسبة العيّنة المبحوثة معرفة بموقع المكان الأصلي الذي خرجت منه عائلاتهم المهجرة. كما كان (86%) منهم يعرفون (الكثير أو القليل) عن واقع حياة عائلاتهم وماضيها بالقرى والمدن المهجّرة. وأظهرت النتائج، أيضاً، أنّ (86%) من الأطفال المبحوثين مهتمون بالعودة إلى أماكن سكن أجدادهم الأصلية. ولكن تبيّن أنّ نسبًا أقل (48%) من الأطفال المبحوثين يعتقدون بأنّ هنالك إمكانية للعودة إلى القرى والمدن الأصلية، في مقابل 34% منهم لا يعتقدون بأنّ هنالك إمكانية للعودة ولكنّ (18%) منهم غير متأكدين من إمكانية تحقيق العودة، وقد سمع (60%) من الأطفال المبحوثين عن قرار الأمم المتحدة (194)، وأكد (52 %) من المبحوثين بأنّ حقّ العودة يعني الرجوع إلى المكان الأصليّ دون الإشارة إلى أي تفاصيل أخرى.

وتشير نتائج الدراسة إلى أنّه لم يكن هنالك أثر للمستوى الاقتصادي على الاهتمام والحنين للعودة، في حين تبين أنّه يوجد أثر للجنس ومكان السكن على المعرفة بالمكان الأصلي والاعتقاد بإمكانية العودة. وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ المتغيّرات المستقلة الوحيدة التي ظهر لها أثر هي الجنس ومكان السكن على المعرفة بالمكان الأصلي والاعتقاد بإمكانية العودة، في حين لم تظهر في باقي المتغيرات المستقلة أي دلالة إحصائية.

Study Abstract:

The present study aims at exploring a number of issues in order to identifying the attitudes and knowledge of children with regard to original place of inhabitance of their displaced families and the their lifestyle at that place. It also relates to the source by which they were introduced to this original place in addition to their feeling toward living in the camp and their belief of their prospect of going back to this place. It also addresses their knowledge and awareness of the UN resolution 194. Furthermore, it aims to explore the extent of the children knowledge from outside the camp of the original name of the place where their families were displaced. The purpose is to revive memories in the minds of the children and intensify their compassion towards return. It also seeks to identify the impact of a number of social and economic variables on the knowledge of the original place, interest, longing and the belief in the prospect of returning to it.

This study used the qualitative level of survey to collect data by means of face to face interviews which are divided into two sections: open and close end questions. The first section formed some background knowledge about the child and his/her family demographically and socially. On the other hand, the second section consisted of thirteen open questions measuring the children attitudes and knowledge in Bethlehem governorate camps regarding place of living of their displaced families and the prospect of returning to it. The study on nonrandom sample of fifty (male and female) children from the age group of 14 – 20 years. who live in the "Aida refugee camp, and the Bethlehem city".

The study results show that all studied children (100%) knew the names of the villages and cities of their families they were displaced from in 1948; there are no differences at the level of knowledge regarding the name of the original place between the children who live in the camp and those who live outside. there have at 72% of the proportion of the sample examined, knowledge of the original place where the displaced families came from. was as 86% of know (a lot and little) about the reality of their families' life and its past history with the displaced villages and cities. The study shows that 86% of the children are interested in returning to the original place of residence of their ancestors. However, the study showed that lesser percentages. 48% of the sample believes that there is a possibility for return to the original villages and cities compared with 34% of them who lost faith in this. 18% of the children are not sure of the possibility of return. 60% of the children heard about the UN 194 resolution. 52% of the researched sample stressed that the

right of return means return to the original place without any reference to other details.

The study results indicate that there was not an impact for the economic level regarding interest and nostalgia for return. However there was an impact of gender, place of residence regarding the knowledge of the original place and the belief in the prospect of return. It is worth mentioning that only independent variables – gender, place of residence had an impact on the knowledge of the original place and the belief in the prospect of return while the remaining independent variables did not have any statistical significance.

اتّجاهات الأطفال ومعارفهم في مخيّمات محافظة بيت لحم

نحو مكان السّكن الأصليّ لعائلاتهم المهجّرة ونحو العودة إليه

"يجب أن نفعل كل ما بوسعنا لنضمن أنهم (الفلسطينيون) لن يعودوا.... سيموت الكبار وسينسى الصغار" (ديفيد بنغوريون، 1949).

المقدّمة

يرى كثيرٌ من المؤرخين وعلماء الاجتماع والأدباء أنّ أحداث عام 1948 تركت أثرًا عميقًا ومدوّيًا في تاريخ الفلسطينيين، وذاكرتهم الجماعيّة حتى تاريخنا هذا. [1] ففي ذلك العام، قامت العصابات "الصّهيونية" بتهجير غالبية سكّان القرى والمدن الأصليّة وتشريدهم[2]من فلسطين التاريخيّة، إذ اقتلعتهم من بيوتهم ومزارعهم. وقد وصفت هذه الأحداث في الكتابات العربية والفلسطينية باسم النكبة (The Disaster)[3]، التي أدّت إلى تحطيم البنى الاجتماعية التقليديّة، والثقافيّة، والسياسيّة، والاقتصاديّة للمجتمع الفلسطينيّ وإلى الأبد. "فتم تدمير الصناعة الناشئة، والقضاء على الحركات السياسيّة، والأدب، والصّحافة، والطّبقات المتوسطة والمهنية، وإبادة المجتمع الفلاحي" (تماري، 1991: 15).

وتشير تقديرات الأمم المتحدة إلى أنّ أكثر من 750,000 مواطن فلسطيني جرى اقتلاعهم وتشتيتهم في العام 1948 (Shiblak, 2009: 2) إلى الدول العربية المجاورة وخاصة الأردنّ، ولبنان، وسوريا، ومصر، والعراق، وبقوا فيها حتى اليوم، وقسم آخر منهم انتهى بهم الأمر لاجئين[4] في ما تبقى من فلسطين، وسكنوا في مدن وقرى ومخيّمات جديدة في الضفة الغربية وقطاع غزة، وقسم قليل بقي في بلداته أو في ما يجاورها داخل ما يعرف "بإسرائيل".

وبقي هؤلاء اللاجئون في أماكن محدّدة، وعلى مقربة مئة ميل فقط من حدود قراهم ومدنهم الأصليّة (يحيى، 1998: 8)، بعد أن مُنعوا قسراً من العودة إليها، ومن ثَمّ أقام "الصهاينة" دولتهم على أنقاض تلك القرى والمدن، إذ قدّرت مساحتها بنحو " 80% من مجموع مساحة فلسطين التاريخية" (كناعنة، 2000: 74).

---

[1] الذاكرة الجماعية مفهوم طوّره عالم الاجتماع والفيلسوف الفرنسي موريس هالبواكس (1950/ 1980) Maurice Halbwachs أحد تلاميذ عالم الاجتماع الفرنسي إميل دوركهايم.

[2] هنالك اختلاف بين المصادر المتعددة حول عدد القرى والتجمعات التي جرى تدميرها وتشريد معظم سكانها الأصليين. ولكن غالبية المصادر الفلسطينية أوردت أرقاماً تجاوزت (400) قرية وموقع، فمثلا: ورد في الكتاب الموسوعي لوليد الخالدي (418) قرية، وعبد الجواد صالح ووليد مصطفى (472) قرية، وذكر الدكتور شريف كناعنة في كتابه الشتات الفلسطيني هجرة أم تهجير بأنها تزيد عن (400) قرية، أما الدراسات الإسرائيلية فقد أوردت أرقاما أقل من ذلك، فتحدث بني موريس عن (369) قرية وإسرائيل شاحاك عن (383) قرية (عمرو، 2007: 24).

[3] كان قسطنطين زريق أول من أطلق تسمية "النكبة" على ما حدث عام 1948. فقد صدر كتابه "معنى النكبة" في بيروت في آب عام 1948. يقول زريق في معرض حديثه ([1948]1994): "ليست هزيمة العرب في فلسطين بالنكبة البسيطة، أو بالشرّ الهين العابر، وإنّما هي نكبة بكل ما في هذه الكلمة من معنى ومحنة من أشد ما ابتُليَ به العرب في تاريخهم الطويل، على ما فيه من مِحَن ومآس". وقد أضاف زريق أنّ تراجيديّة النكبة تكمن في أنّها أثّرت حتى على التركيبة الثقافيّة والنفسيّة؛ إذ -على حدّ تعبيره- "إنّ مئات الآلاف من أهل هذا البلد المنكوب لم يشرّدوا من بيوتهم ويهيموا على وجوههم فحسب، بل إنّ أفكارهم وآراءهم وأفكار أبناء وطنهم في شتّى منازلهم قد شُرّدت أيضًا وهامت" (غانم، 2009: 2).

[4] أتبنى الاستخدام الذي طرحه إيليا زريق (1997: 9) حول مفهوم اللاجئين؛ والذي يشير إلى أنهم مهاجرون مرغمون، ولفظة اللاجئ هي الأكثر شيوعاً، بدلاً من مهاجر قسري أو مهاجر نشيط، للإشارة إلى الهجرة القسرية أو غير الطوعية.

ويمثل اللاجئون الفلسطينيون حالة فريدة برغبتهم في العودة إلى وطنهم الأصليّ ما دامت الأوضاع السياسيّة العامّة التي كانت سببًا في تهجيرهم قائمة (Radley, 1978: 611). [5] من هنا، احتلت العودة إلى المكان الأصليّ حيّزًا واسعًا في ذاكرة الفلسطينيين وقد أعيد ربطها بتاريخ الاقتلاع والتّشريد، وتميّزت هذه الذّاكرة بأنّها ذاكرة حنين (Nostalgia)، وأمل بالعودة إلى القرية الأصليّة. ولأنّ القرية فُقدت وسُلبت، فإنّها تحوّلت بوساطة الذاكرة إلى طريق لانتماء الفلسطينيين إلى وطنهم (بشارة، 2008: 1).

وتشير كثير من المصادر السّياسيّة (فيّاض، 2001؛ جرّار، 1994)، والإعلاميّة (الرنتيسي، 2008)، والأدبيّة والعلميّة (بركات وضود، 1968؛ محمود، 2005؛ مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2006؛ شطي وهونت، 2007؛ حنفي، 2008؛ الحولي، 2009)، إلى أنّ اللاجئين الفلسطينيين ظلّوا صابرين متماسكين، وبقي لديهم الأمل في العودة [6] إلى" أرض الجدود وإلى القرية مسقط الرأس ومسرح التاريخ، ذاك المكان بأصغر معانيه دار أو بئر أو تلّ أو طاحونة أو جامع أو مزار أو أثر قديم" (أبو ستة، 2001: 9).

وعلى الرغم من عدم عودة اللاجئين الفلسطينيين، بسبب رفض "إسرائيل"، إلا أنّهم وعلى مرّ السنين حافظوا على قدر كبير من الحنين والشوق إلى قراهم الأصليّة، وقد تمثل ذلك في نمط أو طريقة الحياة، وعادات الزواج، ونقل العادات والتقاليد، وتسمية الأماكن في المخيّم بأسماء القرى الأصليّة، فتلك كلّها إعادة لخلق الإبداعات الرّمزيّة لحياة القرية (Gren, 2002:3). لذا فإنّ مبدأ العودة كان وما يزال مطلباً أساسياً من مطالب الشّعب الفلسطينيّ، ومن الطبيعيّ أنّ هذا المطلب سيبقى حياً ما دام الحنين إلى المكان الأصلي والتمسك به مستمرّين من جيل إلى آخر، بالرغم من مرور الزمن وإعصاء "الصهاينة" المحتلين تجاه حق العودة.[7]

ومن أهم الدّراسات التي ناقشت موضوع حق العودة للاجئين الفلسطينيين ومعرفتهم وتمسّكهم بالمكان الأصليّ: دراسة جرار (1994 و1997)، ودراسة عيسى (2004)، ودراسة النبريص وأبو العيون (2005) ودراسة الزّبن (2007)، ودراسة الحولي (2009). وركزت هذه الدراسات على معرفة الأوضاع الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة للاجئ الفلسطينيّ، ودرجة معرفته ببلده الأصليّ ومواقفه نحو ترك المعيشة في المخيّم، ومعرفته للقصص والمعلومات السّياسيّة عن النّكبة وأحداث الحرب، وسنة النّكبة، ومن هم الذين احتلوا فلسطين، وتوعية اللاجئ الفلسطيني وتثقيفه بحقوقه المشروعة التي تناولتها القرارات الدوليّة، وتأثير المكان الأصليّ والحاليّ على هوية اللاجئ في المخيّم، ودور العائلة، والجامعة، والمسجد في تعزيز ثقافة حقّ العودة.

---

[5] نقلاً عن إيليا زريق (1997: 12-13).

[6] من الناحية الأيديولوجيّة، فإنّ المؤرخ "الإسرائيلي" " إيلان بابيه" يؤمن – ونتفق معه – بأن جذر الصراع مرتبط أساساً بمشكلة اللاجئين فهو يرى أن تطبيق حق العودة هو السبيل الوحيد للمصالحة التي ستمنع أي صراع مستقبلي، ولأجل ذلك فهو يعتقد " أن حل الدولتين لا يمكن أن يوفر حلاً منطقياً لحق العودة، بل إنّ هذا الحل يبدو مستحيلاً في إطار الدولتين، خاصة حينما تستولي "إسرائيل" على 80% من فلسطين التاريخية، وتبقي أقلّ من 20% للفلسطينيين ،الأمر الذي لا يمكن أن يشكل أساساً عادلاً أو صحيحاً أو منطقياً لإنهاء العداء والصراع (مقابلة منشورة في موقع أجراس العودة، 2007)
http://www.ajras.org/?page=show_details&Id=19&table=table_149

[7] يمكن تحديد حق العودة، انطلاقاً من مقاربة بسيطة، بأنه الحق الذي يطالب به شخص واحد أو عدة أشخاص و/ أو فروعهم (الأبناء وأطفالهم) بالعودة إلى الأماكن التي كانوا يسكنوها، تلك الأماكن التي أرغموا على مغادرتها، وحق استعادتهم هناك للأملاك التي انتزعت منهم أو التي تركوها (باجاجي ،1996: 40).

وهنالك بعض الدّراسات الأخرى في هذا الصّدد، من مثل؛ دراسة عويضة (1998)، ودراسة مؤسسة مشرقيات (2001)، ودراسة المركز الفلسطينيّ للبحوث السّياسيّة والمسحيّة (2003)، ودراسة مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات (2006) التي ركزت على استطلاع آراء أو مواقف اللاجئين وخياراتهم وأفضليّاتهم نحو مواضيع حقّ العودة المتعددة[8]، من مثل؛ الرّغبة بالعودة، ومكان تنفيذ حق العودة، ومفهوم القرار(194)، وتعريف اللاجئ الفلسطينيّ، والتّعرّف إلى الحلول المقترحة لتسوية قضيّة اللاجئين كالتّعويض والتّوطين، ودور وكالة الغوث. من أجل تقديم وجهة نظرهم للمواقف الرّسميّة الفلسطينيّة، ولخدمة الأغراض التفاوضية.[9]

ويتّضح للباحث من الدّراسات السّابقة، أنّها أجريت في مواقع جغرافيّة متعدّدة (المناطق الفلسطينيّة، الدّول المستضيفة أو الشّتات) واختيرت عيّناتها من فئات عمرية مختلفة، كما أنّ هنالك أبحاثاً درست الجيل (الثالث والرابع)، وقارنت معرفته عن حقّ العودة مع الأجيال الأكبر سناً (الأول والثاني)، من مثل؛ دراسة جرار (1994)، والنبريص وأبو العيون (2005)، والزّبن (2007). واستخدمت دراسة جرّار (1994) الأسئلة المغلقة؛ للتعرّف إلى درجة معرفة المبحوثين بالبلد الأصليّ لأسرهم. من جهة أخرى كان الغرض من إجراء بعض الدّراسات موجهًا بشكلٍ رئيس لصنّاع القرار الفلسطينيّين، ولخدمة الأغراض التّفاوضيّة في بداية العمليّة السلميّة في عام 1992، ومراحلها المتعاقبة، والتي بيّنتها دراسة عويضة (1998)، ودراسة مؤسسة مشرقيات (2001)، ودراسة المركز الفلسطينيّ للبحوث السياسيّة والمسحيّة (2003).

واعتمدت في هذه الدّراسة على الإسهامات النّظريّة التي ناقشتها دراسات اللاجئين وأدبيّات التّهجير القسريّ عن جماعات اللاجئين الذين اقتلعوا من أماكنهم الأصليّة، والتي تبيّن كيف تعمل هذه الجماعات على إعادة إنتاج الذكريات والمعرفة عن الماضي واستمراريّة تناقلها عبر الأجيال كنظريّة "المخيال الاجتماعي" ونظريّة "الجماعات المتخيّلة". وعلى النّظريّات السّوسيولوجيّة (كنظريّة الذّاكرة الجماعيّة وأماكن الذّاكرة) التي تفسّر لنا ذاكرة المقتلعين (اللاجئين) من المكان الأصليّ، أي ستقوم الدراسة بقياس هذه النّظريّات السّوسيولوجيّة على معرفة الأطفال واهتمامهم بالمكان الأصليّ والعودة إليه.

وستضيف دراستي هذه إلى الدّراسات السابقة سلسلة من الأمور عن معرفة الأفراد من الجيلين الثالث والرابع ومدى اهتمامهم بالمكان الأصليّ الذي شرّد منه أجدادهم، وبطريقة الحياة التي عاشوها في هذا المكان، وبالمصدر الذي عرّفهم بالمكان الأصلي، وبشعورهم نحو العيش في المخيّم، وبمدى اعتقادهم بإمكانية العودة إلى الوطن، وبمعرفتهم بقرار الأمم المتحدة الخاصّ بهم. وأيضاً التّعرّف إلى حقيقة معرفة الأطفال من خارج المخيّم باسم المكان الأصليّ لعائلاتهم المهجّرة. وذلك للتّعرّف إلى مدى إبقاء الذكريات حيّة في ذاكرة الطّفل

---

[8] إن ما تظهره استطلاعات الرأي المتعلقة برأي أو مواقف اللاجئين من حل قضيتهم تعتبر من أهم المؤشرات العلمية على بقاء حق العودة كأحد أبرز المطالب الذي يطالب به اللاجئون دون تراجع مع مرور الزمن على تهجيرهم (بديل، 2000: 17).

[9] يحذر عالم الاجتماع والسوسيولوجي الفلسطيني إيليا زريق (2000: 155) من الاستفتاء على حق العودة بعدما تأكد له أن هناك جهات أو مصادر تحاول القيام بمسوح تكشف مواقف اللاجئين الفلسطينيين من العودة والتعويض، فهو يرى أن حق العودة مكرس في القانون الدولي وليس خاضعاً للاستفتاء.

والحنين للعودة إلى الوطن. وتهدف الدّراسة التّعرف إلى أثر مجموعة من المتغيّرات الاجتماعيّة والاقتصاديّة على معرفة المكان الأصليّ والاهتمام به والحنين إلى العودة إليه والاعتقاد بإمكانية العودة إليه.

وتنبع أهميّة الدّراسة الحاليّة من كونها تبحث موضوعًا مهمًا يقع في صميم القضيّة الفلسطينيّة وتاريخها، ألا وهو موضوع العودة إلى المكان الأصليّ الذي شكّل العمود الفقري لوجود اللاّجئ الفلسطينيّ، وارتباطه بوطنه التّاريخيّ، وتمسّكه بقريته ومدينته الأصليّة التي هجّرت أسرته منها عام 1948، وعلى وجه الخصوص تركيزها على دراسة المعرفة في أوساط الأجيال الحديثة لعائلات اللاجئين الفلسطينيّين (الأطفال) نحو المكان الأصليّ ومواقفهم من حقّ العودة عندما يجري اقتلاع عائلاتهم من بيوتهم ومزارعهم في حالات التهجير القسريّ.

وتنقسم الدراسة الحالية إلى ثلاثة فصول؛ يتضمن الفصل الأوّل مراجعة الأدبيّات النّظريّة والأمبيريقيّة. ويتناول الإطار النظريّ موضوعات التّهجير القسريّ؛ الاقتلاع من المكان، وبناء مجتمعات في الذّاكرة، والعودة إلى الوطن في أدبيّات اللّجوء، والنظريّات السّوسيولوجيّة التي تفسّر ذاكرة الجماعات التي اقتلعت من أماكنها الأصليّة. بينما يشتمل القسم الثاني على مراجعة الدراسات السّابقة وقد قسّمتها إلى خمسة محاور هي: المحور الأوّل: استعرضت فيه دراسات حول المشكلات التي واجهت اللاجئين الفلسطينيين، والأسباب التي حالت دون عودتهم إلى أماكنهم الأصليّة. والمحور الثاني: تطرقت فيه إلى دراسات أجريت حول مواقف الأطراف الفلسطينية و"الإسرائيلية" من حقّ العودة. والمحور الثالث: ناقشت فيه الدراسات التي تناولت موضوع حقّ العودة للاّجئين الفلسطينيين ومعرفتهم بالمكان الأصليّ وتمسّكهم به. والمحور الرابع: بحثت فيه الدّراسات التي تناولت آراء أو مواقف اللاجئين الفلسطينيين وخياراتهم وأفضليّاتهم في مسألة حقّ العودة وقراراته الدوليّة. والمحور الخامس: استعرضت فيه دراسات حول "قدسية" حقّ العودة.

ويتناول الفصل الثاني منهجيّة الدّراسة التي تتضمن، أهداف الدّراسة، وفرضيّاتها، ومفاهيمها، وأداة قياس المفاهيم، ومجتمع البحث والعيّنة، وخصائص أفراد العيّنة الديموغرافية، ومنهج الدّراسة وأسلوب جمع البيانات. وأخيراً يستعرض الفصل الثالث نتائج الدّراسة من حيث عرض البيانات، وتحليل المقابلات، ومناقشة النّتائج. وتنتهي الدّراسة بخلاصة توضح أهم الاستنتاجات التي توصّلت إليها.

الفصـــــــــــل الأوّل

مراجعة الأدبيّات

أوّلاً: الإطـــــار النّظـــــــريّ

ثانياً: الدّراســـــــات الأمبريقيّة

أوّلا: الإطار النّظريّ:

أتناول في هذا الفصل أهم الأطر النّظريّة والمفهوميّة التي تفيد موضوع الدّراسة، وذلك عبر استعراضي لعدد من أدبيّات التّهجير القسريّ ودراسات اللاجئين؛ التي ناقشت قضايا الاقتلاع من أرض الوطن أو المكان الأصليّ والعودة إلى بعض جماعات اللاجئين في العالم. ولغرض تحليل نتائج الدّراسة تطرّقت إلى النّظريّات السّوسيولوجيّة، من مثل؛ "أماكن الذاكرة" و"الذاكرة الجماعيّة" التي تناولها منظرو العلوم الاجتماعية وهي تفسر ذاكرة الجماعات التي اقتلعت من أماكنها الأصليّة كجماعات اللاجئين مثلاً.

1- التّهجير القسريّ / الاقتلاع من المكان وبناء مجتمعات في الذّاكرة

هنالك عدد من الدراسات التي اهتمت بالتّهجير القسريّ كالتي أجراها كلّ من برن Brun (2001) وكوبتا وفيرقسن Gupta and Ferguson (1992). وينطلق هذان الباحثان في دراستيهما للموضوع من العلاقة التي تربط اللاجئين بالأرض بوصفها المكان الذي هجّروا منه وذلك في محاولة منهم لفهم تأقلمهم أو عدم تأقلمهم مع المكان الجديد، ومحاولة اقتراح بدائل أو حلول لمشكلتهم.

وتصنّف كاثرين برن Cathren Brun (2001) في دراستها "العلاقة بين النّاس والمكان الأصليّ في دراسات اللاجئين" الأبحاث التي تهتم باللّجوء القسريّ إلى فئتين: الفئة الأولى مكوّنة من دراسات Allen and Massey (1994) Turton (1996) و Malkki (1997)، ترى أنّ اللاجئين أشخاص خارج المكان وغير منتمين للمكان الجديد، ويظنّون أنّ وجودهم في المكان الجديد مؤقت. وتتراوح، في رأيهم، الحلول الممكنة بين إنهاء حالة اللّجوء التي يعانونها عبر دمجهم في المجتمع المحليّ (أي في البلد المستضيف) أو تغيير مكان إقامتهم، أو إعادتهم إلى بلادهم الأصليّة طوعاً أو قسراً. فمن وجهة نظر هؤلاء المنظّرين، فإنّ اقتلاع الإنسان بمعناه المكانيّ والجغرافيّ يعني انتزاعه من بيئته الثقافية ليصبح بلا حول ولا قوة ويخسر هويته الأصليّة.

وركزت دراسات الفئة الثانية Watts (1991) و Smith (1993) و Agnew (1994) و Mitchell (1997) و Lie and Lund (1998) على تحليل الآليات التي بموجبها يسكن اللاجئون في أماكن معيّنة، ولكنّهم في الوقت ذاته يشكلون جزءًا من جماعات عبر محليّة. وينطلق هؤلاء المنظّرون من فكرة مفادها أنّ النّاس كانوا بلا شك يتنقلون باستمرار، أي للإشارة إلى عملية التنقل والتّرحال التي تحدث من قِبل الجماعات البشريّة في العالم، ويتمتعون بهويّات أقل ثباتًا من الهويّات الجامدة (Brun, 2001: 17-18).

ثم جاء منظّرون آخرون كجيمس كلفورد (Clifford, 1986)، وإدوارد سعيد (Said, 1979) وطرحوا تصوّرًا مختلفاً عمّا افترضه المنظّرون السّابقون، ورأوا: أنّ النّاس أجبروا على الرّحيل من أرضهم إلا أنّهم

لم يقتلعوا من ثقافاتهم ولم يفقدوا هويّتهم، وليسوا عديمي القوّة. فاللاجئون حسب وجهة نظر هذه الفئة ليسوا ضحايا سلبيين حكم عليهم بالعيش في ظروف غير طبيعيّة لكنّهم أعضاء فاعلون يمكن أن يطوّروا استراتيجيات لبقائهم في المكان الجديد (Gupta and Ferguson, 1992: 9-10).

ومن ضمن هذه الاستراتيجيّات مفهوم المخيال كما طوّره Arjun Appadurai، والذي يشرح "كيف يعيش الكثير من النّاس في عالم لم يعد يحدّده المكان أو الأرض، فحين ينفكّ الرّباط الذي يشدّ النّاس بالأرض والملكيّة يؤدي هذا إلى ما يطلق عليه قوّة جديدة في الحياة الاجتماعيّة هي "المخيال". ويصبح المخيال في حالة التّهجير القسريّ ممارسة اجتماعيّة، وجزءًا من الآليّة التي يبني فيها اللاجئون سيرهم الذاتية، والتي بدورها تتحوّل جزئيًا إلى حيوات متخيّلة ترتبط بصور وأفكار وفرص تأتيهم غالباً من مكان آخر(غير المكان الأصليّ) وغالباً ما تنتقل عبر وسائط الإعلام الجماهيريّ"(Appadurai, 1999: 199). ويتبين لنا من هذا النقاش (Appadurai) أهمية الحاجة إلى فهم العلاقة بين المخيال والحياة الاجتماعية في حالات اللّجوء القسريّ، وذلك في الوقت الذي باتت تضعف فيه الممارسات الاجتماعيّة والسياسيّة والثقافيّة نحو المكان الأصليّ.

وبالإضافة إلى التّحليل السّابق الذي قدّمه (Arjun Appadurai) حول مفهوم المخيال الاجتماعيّ، هنالك أفكار جديدة برزت حول أماكن متميزة ثقافيًّا وعرقيًّا، وذلك في الوقت الذي بدأت تضعف فيه أهميّة المكان بوصفه موقعًا جغرافيًّا. ففي هذا المجال يبرز تعبير بينيدكت أندرسون عن "الجماعات المتخيلة"، والذي يرى أنّ الجماعات القوميّة في العالم هي "جماعات متخيّلة"، وهي ترتبط بأماكن متخيّلة، وفي حالة التّهجير القسريّ أصبحت هذه الجماعات التي أبعدت عن أرضها الأصليّة تتجمع حول أوطان وأماكن في الذّاكرة والمخيال (عدوان، 2009: 36). وأيضاً، يضيف أندرسون (1992) "أنّ تلك الجماعات عندما تجتمع مع بعضها البعض فإنّها تلعب دورًا حاسمًا في استمراريّتها بوصفها جماعة، ومن ثَمّ فإنّها تعزّز الانتماء لأفرادها المتخيّلين[1]" (Shami 12 :1996).

وهكذا يمكن القول إنّ منظّري التّهجير القسريّ، أهملوا المشكلة الحقيقية لجماعات اللاجئين الذين طردوا من أماكنهم الأصليّة، وهي مشكلة الاقتلاع من أرض الوطن، أي الاحتلال؛ الاستعمار أو الاضطهاد الذي أدى إلى تشريدهم، وما له من تداعيات طويلة الأمد على واقع هؤلاء اللاجئين، ومن ثمّ فإنّهم انغمسوا في التّركيز على الجانب الثقافيّ (أي على الهويّة) لهؤلاء اللاجئين، محاولين إيجاد حلول وبدائل تمكّنهم من الاندماج في المجتمعات المستضيفة، ومن ثَمّ المحافظة على هويتهم من الضياع.

---

[1] التجربة التي أوضحتها لينا محمود (2005: 180- 181) لفواز تركي تكشف لنا كيف ينزع فلسطينيو الشتات نحو خلق "مجتمعهم المتخيل" Imagined community لكي يكتسبوا حساً من الانتماء، ولكي يتمكنوا من الصمود السيكولوجي. يقول فواز تركي (1972):"لو لم أكن فلسطينياً حين غادرت حيفا طفلاً لكنته الآن. العيش في بيروت معظم أيام شبابي إنساناً محروماً من الجنسية، لم يشعرني يوماً بأني أعيش بين إخوتي من العرب..... وهذا يعني أنني أجنبي وغريب ولاجئ يشكل عبئاً ثقيلاً. أن أكون كذلك عنى لي ولأبناء جيلي أن ننكفئ إلى دواخلنا، أن نتقارب أكثر، أن نكون جزءاً من أقلية طريقتها الخاصة في الفعل والنظر والإدراك وفي ردات الفعل".

من جهة أخرى ترى سميش Simich (2008: 68) أنّ الوطن يعني الشيء الكثير للاجئين الذين هجروا من بيوتهم، فهو ليس مجرد أبنية أو أماكن للحياة اليوميّة، إنّه مغروس في الذّاكرة بكلّ ما فيها من دلالات ورموز. الوطن هو المكان الذي تُثار فيه العواطف الوجدانية وهو منبع الهويّة، وهو عنوان استمراريّة الماضي ورمزه . وتشير ليزا مالكي Lisa Malkki (24 :1992) إلى أنّ المقتلعين عن المكان الأصليّ قد بنوا بيوتًا وأوطانًا لهم ليس عبر أماكن سكناهم الحاليّة وإنّما بوساطة ذكرياتهم. فالمكان الذي تعيش فيه مجموعة اجتماعية معيّنة (خاصة اللاجئون) يمثل لحظة فريدة وتاريخًا خاصًّا وتجربة اجتماعية، ويمثل في الأساس "ذاكرة جماعيّة" وهي ذاكرة محصّنة (الزناد، 1994)؛ فالمجتمعات التي تحتفظ بالماضي وحفريّاته غالباً ما تركّز على "بناءات الذاكرة الاجتماعيّة" (Schwartz, 1996: 908). وقد وضّح جيفري أولك Olick Jeffrey (8 :1992) بأنّ أبحاثًا مختلفة أنجزها العلماء لتفسير نسبة ارتفاع الاهتمام بالماضي، وإحياء الذّكريات والحنين للوطن الأمّ أو للمكان الأصليّ.

2- العودة إلى المكان الأصليّ (الوطن) في أدبيّات اللّجوء:

غدت الدراسات الخاصّة باللاجئين حقلا بحثيًّا مهمًّا، وهي بهذا تطوّر جديد في حقل دراسات علم الاجتماع، وهي متأثرة إلى حدٍ بعيدٍ بدراسات الهجرة التي لها مكان مرموق في علم الاجتماع (زريق، 1997: 7). وقد صنّف عدد من الباحثين السّوسيولوجيّين في مجال دراسات اللاجئين وأدبيّات الهجرة القسريّة الهجرات إلى نوعين هما: الهجرة الطّوعيّة، والهجرة القسريّة. إذ يميل تحليل الهجرة الطّوعيّة إلى التّركيز على الأفراد لا على الجماعات، ويمكن أن تحدث فصليًا، وغالباً ما تتخذ طابع البحث عن مستوى معيشي أفضل. وعلى النّقيض من وضع الهجرة الطّوعيّة فإنّ وضع اللّجوء محصّلة ضروب غير طوعيّة (قسريّة) من الهجرة، فالنّزوح هنا، ينتج غالبًا عن أحداث خارجة عن سيطرة اللاجئين، من مثل؛ الحروب الدّاخليّة والخارجيّة، وسياسة التّرحيل والطّرد التي تنتهجها الدّول المعادية، أو تأتي نتيجة الضّغوطات العسكريّة والسّياسيّة والاجتماعيّة القاسية، من مثل؛ موجات المهاجرين الذين اقتلعوا من أوطانهم الأصليّة نتيجة الحرب، وتحوّلوا إلى لاجئين (Price, 1969[2]؛ زريق، 1997: 9؛ Schmidt, 2008: 8) وفي أغلب الأحيان لا يسمح لهم بالعودة إلى أماكنهم الأصليّة كما هي الحال بالنسبة للاجئين الفلسطينيين [3].

---

[2] نقلاً عن محمود عقل (1992: 14).

[3] في هذا الصدد، يقول ساري حنفي (2007: 22) : علينا ألا نرسم خيالاً رومانسياً حول العودة في الحالات كافة، حيث أن طبيعة اللاجئين في العالم تغيرت في الأحوال كلها. وتظهر الدراسات مقاومة العديد من اللاجئين للعودة (كالمسلمين البورميين)، بينما فضل آخرون تاريخياً أن يكونوا عديمي الجنسية على العودة إلى وطنهم (كاليهود الرومانيين والبولنديين في فرنسا أو ألمانيا في نهاية الحرب).

يشدّد فريليك Frelick (1990) على حقّ كلّ لاجئ في العالم بالعودة إلى وطنه الأصليّ، وكلّ لاجئ تجبره الأوضاع على البقاء في المنفى (الشتات)[4] إنّما يُحرم حقاً إنسانيًا واجتماعيًا أساسيًا، وهذا الحق ضروريّ لأنّ:

> "المنفى حرمان أساسيّ من الوطن، حرمان ينفذ إلى صميم الخصائص الثابتة التي تكّون هويتنا الشخصية والجماعية، فلنا الحقّ في وطننا، في العيش بسلام وأمان حيث ولدنا، وفي مرابع أسلافنا وثقافتنا وتراثنا. ففي نفي الإنسان من وطنه، بل في سلخه بالقوة عن علاقة حميمية بأفراد عائلته جيلاً بعد جيل، ممّا يخلق عذاباً روحياً لا يمكن أبداً الشفاء منه بصورة تامة. وقد يمثل الدمج المحلي وإعادة التوطين في بلد آخر خيارات ممكنة توفر الحماية للاجئين وتمكنهم من بدء حياة جديدة. لكن ليس أي منهما حقاً في ذاته، ولا يحل أي منهما المشكلة التي جعلت من الشخص لاجئا. كما أن أياً منهما لا يبدد الحرمان من الحقوق الأساسية والذي سيحمله اللاجئ العاجز عن العودة إلى دياره، طوال حياته، وربما لعدة أجيال لاحقة.
>
> وهذه الحلول نادراً ما تكون، من حيث رفاهية اللاجئ الروحيّة والعقليّة، شيئا أكثر من مسكنات عاجزة عن التّغلب على الانسلاخ الذي يستنزف قوة اللاجئ ويحرمه السعادة. إنّ حل مشكلة غُربة اللاجئ وانسلاخه هو الشرط المسبق للصّحة الروحيّة والعقليّة السليمة، وبينما يبقى الدّمج الكامل هدفًا وأملاً للاجئين الذين يجري إعادة توطينهم في ثقافات غربية، إلا أنّ الحلّ الأمثل لهذا الانسلاخ يكمن في وضع حد لغربته، أي، في العودة إلى دياره، أي عودته إلى وطنه الأصلي (تاكمبرغ، 2003: 294).

لقد توصل دانيال وارنر Daniel Warner (1994) في كتابه (Volunteer Repatriation and the Meaning of Return to Home): إلى أنّ هنالك عوامل تساعد على العودة، وأخرى تعيق عمليّة العودة. أمّا العوامل التي تساعد على العودة فمنها، أولاً: سبب الخروج حيث يعود اللاجئ إلى بلده الأصليّ غالباً إذا كان سبب خروجه ناتجاً عن حرب تحرير. ثانياً: الحنين (Nostalgia) إلى الوطن والأمل في العودة، فإذا بقيا في ذاكرة اللاجئ، وكانت هنالك عمليّة تثقيف للأجيال لإحياء الحنين واستمرار الأمل، فإنّه بذلك يستمر التوجه نحو العودة. وتمثل الأوضاع الاقتصادية أيضاً عاملاً ثالثاً يمكن أن يكون داعماً للمطالبة بالعودة؛ فإذا عاش اللاجئ في البلد المُستضيف في أوضاع اقتصادية صعبة، وكانت تلك الأوضاع في بلده الأصليّ أفضل، فإنّ توجّهاته تزداد نحو العودة نتيجة للظروف الاقتصاديّة والمعيشيّة الجيّدة. ورابعاً: عدم اندماج اللاجئ اجتماعيًّا في البلد المستضيف.[5]

---

[4] يرى ساري حنفي (2000: 4) في كتابه "هنا وهناك نحو تحليل العلاقة بين الشتات الفلسطيني والمركز" أن استخدام كلمة شتات يدل للتعبير عندما يتبعثر شعب ما خارج حدود بلده (اقتلاعاً أو بشكل طوعي). أما Cohen في كتابه Global Diaspora يلفت الانتباه إلى أن تعبير الشتات "دياسبورا" يكتسب بالنسبة لبعض المجتمعات مثل: الفلسطينيين، واليهود، والأرمن، والأفارقة معنى "أكثر تشاؤماً وقسوة"، لأنه يدل على "صدمة جماعية ونفي واستبعاد حيث يحلم المرء بالعيش في وطن، في حين يتعين عليه أن يعيش حياه المنفى" (شبلاق، 2005: 20).

[5] في سياق مشابه لما أشار إليه وارنر Warner (1994) بينت الدراسات الخاصة باللاجئين الفلسطينيين كما ذكرت سلمى الشوا (2005: 251) أنهم لم يريدوا أن يبنوا وطنا بعيداً عن بلدهم الأصلي؛ لأنهم اعتبروه تهديداً لحقهم بالعودة إلى موطنهم الأصلي، ولهذا فهم لم يحاولوا أن يندمجوا بالمجتمع الجديد بل رفضوه لقوة هويتهم القومية.

أمّا العوامل التي تعيق العودة –كما يعتقد Warner– فمنها ما يتعلق بسبب اللجوء خاصةً إذا كان اللّجوء نتيجة لشعور اللاجئ بأنّه أصبح غريبًا عن وطنه الأمّ. وهنالك عاملا الزّمن والتغيير؛ فالزّمن قد يعمل سلبًا لأنّه قد ينسي اللاجئ أو أحفاده بلدهم الأصليّ، والتغيير الذي يحدث على المكان الأصليّ أو على الجماعات التي كان يعيش بينها (جرار، 1997: 14).

لقد ركزت أدبيّات (دراسات اللاجئين) بشكل كبير على جوانب عودة اللاجئين إلى أوطانهم، وعلى عملية إعادة الإدماج، وتعدّ هذه الجوانب جزءًا حيويًّا في عمليات حفظ السّلام، إلا أنّها أبدت تركيزاً أقلّ لفهم عمليّات العودة إلى الوطن على المستوى المحليّ، لاسيّما من وجهة نظر الذين يناضلون من أجل بناء منازلهم الجديدة التي دمرت أثناء الصراعات العرقيّة، أي لم تهتم تلك الأدبيّات بمصير أولئك الذين عادوا إلى وطنهم الأصليّ ومعرفة أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية. وعلى أيّ حال، إنّ العمل على إعادة اللاجئين إلى وطنهم الأمّ أو إلى المكان الأصليّ الذي اقتلعوا منه بالقوة يكون في كثير من الأحيان عنصرًا رئيسًا في اتفاقيات السلام الدوليّة، والجهود التي يبذلها المجتمع الدوليّ لإعادة بناء المجتمعات المشتّتة التي تعصف بها الحروب والصراعات، من مثل؛ كمبوديا، وكثير من المجتمعات الأخرى، من مثل: صربيا، ورواندا، وغواتيمالا، وتيمور الشرقية، والبوسنة والهرسك (Eastmond, 2002: 1).

وشهدنا في عصرنا الحاليّ عودة اللاجئين في البوسنة والهرسك وكوسوفو إلى مدنهم وقراهم، وبيوتهم ومجتمعاتهم التي استبعدوا منها وأجبروا على تركها عن طريق القوات المسلحة الصربيّة. والقضية نفسها حدثت أيضًا مع اللاجئين الرّوانديين الذين عادوا إلى بيوتهم وقراهم الأصليّة التي أُجبروا على تركها سابقًا، ففي تلك الحالتين تدخّلت الأمم المتحدة، والاتحاد الأوروبي، والولايات المتحدة الأمريكيّة في قضيّة البوسنة؛ لإعادة الوضع إلى ما كان عليه عن طريق تطبيق حقّ العودة بالقوة (Al-Qasem, 1999: 124-125). فكوسوفو كانت مثالاً على الممارسة الدوليّة لحقّ العودة إذ حظيت بقبولٍ عالمي. ففي بداية الهجوم الصربيّ على كوسوفو بات انتزاع حقّ الكوسوفيين في العودة مهمًّا، ودورًا بارزًا يقع على عاتق تصريحات الأمم المتحدة وقراراتها (Agterhuis, 2004: 27).

هكذا يتبين لنا من النقاشات السابقة، أنّ هنالك تحوّلا على الصعيد العالميّ من حيث أولويات إعادة إدماج اللاجئين في المجتمعات المستضيفة إلى العمل على إعادتهم إلى بلدانهم الأصليّة، إذ تعدّ الجهود التي يبذلها المجتمع الدوليّ لإعادة اللاجئين من أفضل الحلول الطبيعية، بدلاً من إبقائهم في المنفى أو الشتات.

3–النّظريّات السّوسيولوجيّة التي تفسّر ذاكرة الجماعات التي اقتلعت من أماكنها الأصليّة

يشير أفيتار زيريوبافل Eviatar Zerubavel (1996: 293-294) في كتابه (Social memories: Steps to a sociology of the past) إلى "أننا حين نتذكّر، لا نتذكّر كأفراد، بل كأعضاء في جماعات قوميّة ومحليّة. الجماعات تمدنا بالذّكريات، وهي تعلّم الأجيال الجديدة كيف تتذكّر وتنسى، وذلك بوساطة الذكريات التي انتقلت إليها عبر التنشئة الاجتماعيّة. وأيضًا يتحدّد ما نتذكّره من ماضينا بما يخبرنا به آباؤنا وأجدادنا. بمعنى آخر، إنّنا نعرّف أنفسنا عبر الذّكريات الباقية في المجموعات التي ننتمي إليها، كما نعتمد في عملية تذكّر الماضي على مواقع اجتماعيّة مختلفة في الذّاكرة كالوثائق، والقصص، وألبومات الصور، والأطلال الأثريّة". يقودنا التحليل الذي قدّمه زيريوبافل Zerubavel حول الذّكريات الاجتماعية إلى مفهوم تنظيريّ بالغ الأهميّة في سوسيولوجيا العلوم الاجتماعية ألا وهو الذّاكرة الجماعيّة.

نظرية " الذاكرة الجماعيّة" [6]

يعزى الاستخدام المعاصر لمفهوم "الذاكرة الجماعيّة" إلى عالم الاجتماع الفرنسيّ إميل دوركهايم؛ وقد كتب عنه بشكل موسّع في كتابه "الأشكال الأوّلية للحياة الدّينيّة"، وتحدث فيه عن الطّقوس التّذكاريّة للفاعلين الاجتماعيّين. ويعتقد دوركهايم بأنّ كلّ مجتمع يحتاج إلى أن يشعر باستمرارية الماضي، وبأنّ هذا الماضي هو الذي يمنح الأفراد والجماعات هويّة جمعيّة. هذه الفكرة تسمح لنا برؤية الذاكرة الجمعيّة بوصفها إحدى الأشكال المهمة للحياة الاجتماعيّة (Misztal, 2003: 122-123).

من بعد دوركهايم، جاء تلميذه موريس هالبواكس Maurice Halbwachs (عالم الاجتماع والفيلسوف الفرنسيّ) الذي وضع المعالم الرئيسة لدراسة "البنى الاجتماعية للذاكرة" في عام 1950 (Olick, 1992: 7). فقد كان لكتابات هالبواكس تأثيرات واضحة على الأبحاث الحديثة حول الذّاكرة في مجال العلوم الثقافية، إذ تكوّنت عبرها نظريّة الذّاكرة الجماعيّة، والتي ترى أنّ عملية التّذكّر الفرديّة لا يمكن أن تنشأ أو أن تتم إلا ضمن إطار اجتماعيّ محدّد. وبهذا يرى هالبواكس "أنّ الذّكريات الفرديّة لم تعد إذن متمركزة ومنحصرة داخل الفرد بل أصبحت تمتلك مكاناً لها ضمن المنظومة الاجتماعية نتيجة لتفاعل هذا الفرد مع محيطه الاجتماعيّ، فعن طريق الحوار مع الآخرين، كالحوار مثلاً مع أفراد الأسرة أو الأصدقاء أو غيرهم، يتسنى للمرء تذكر محطات وتجارب مهمة في حياته" (سوكاح، 2006: 2).

---

[6] يرى الباحث السوسيولوجي زهير سوكاح (2006) أن معظم النصوص العربية (القليلة) التي تعرضت لمسألة (الذاكرة الجماعية)، تخلط بين مفهومي الذاكرة الجماعية والذاكرة الجمعية. مما يجعل عملية التفريق بين المستويين الجماعي والجمعي لمفهوم الذاكرة في تلك النصوص ضرباً من العبث. هذا اللاتدقيق الاصطلاحي مرده على ما يبدو إلى عدم وجود كتابات مرجعية أو ترجمات معمقة حول الماهية السوسيوثقافية لمفهوم الذاكرة باللغة العربية. إن الفرق الجوهري بين مفهوم الذاكرة الجماعية ومفهوم الذاكرة الجمعية لدى هالبواكس ـ كما تمت الإشارة إليه آنفاً ـ يتجلى في كون الذاكرة الجماعية خاصة بجماعة وحيدة معينة داخل مجتمع ما. أما الذاكرة الجمعية فهي ذاكرة مشتركة بين مختلف الجماعات المكوّنة للمجتمع.

فالذّاكرة الجماعيّة تعيد تركيب الماضي الذي نحتفظ منه بذكريات حقيقيّة وأخرى خياليّة؛ ماضٍ يترك آثارًا قابلة للملاحظة العينيّة أحيانًا، تدركه الجماعة ضمن تعبير الصّور، وداخل الأماكن، وحتى في طرق التعبير والإحساس المحتفظ به والمعاد إنتاجها –لا وعيًا– عبر أشخاص معيّنين وفي أماكن ما؛ فالذّاكرة الجماعيّة لا تختزن ماضي الجماعة فحسب بل تعيد تركيبه، إلاّ أن هذا الماضي على غرار الذّكريات التي تحتفظ بها الذّاكرة منه لا يكفّ عن تقديم وسائل ضرورية لإعادة إنتاجها (Halbwachs, 1950: 290).[7]

ويحاول موريس هالبواكس أن يبرهن بأنّه من المستحيل بالنّسبة للأفراد أن يتذكروا أنماطًا متواصلة ومتماسكة خارج سياقات جماعاتهم. ويضيف أيضًا، أنّ أعضاء الجماعة يمدّون الأفراد بالموادّ والرموز التي تحثّ الذّاكرة بأحداث وإشارات خاصّة للآخرين بعدم النسيان؛ وذلك لأنّ المجموعات الاجتماعية المختلفة تمتلك كل واحدة منها على حدة رصيدًا ذاكريًّا ومعرفيًّا داخليًّا مشتركًا بين أفرادها (Olick, 1992:8).

ومن الأمثلة الحيّة على نظريّة الذاكرة الجماعيّة، هو ما توضّحه لنا عالمة الاجتماع التونسيّة "تراكي الزناد" (1994) في مؤلفها الذي صدر باللغة الفرنسيّة "ذاكرة المعيش من أجل سوسيولوجيا المعيش" مدى صلابة الذّاكرة الجماعيّة للجالية الأندلسيّة التي قدمت إلى تونس، مشيرة إلى اتفاق المؤرخين المختصين في المسألة الأندلسيّة على استعصاء هذه الجالية على النسيان عند خروجهم من إسبانيا في القرن السابع عشر. وقد تجلى هذا الاستعصاء في مجالات مختلفة، من مثل؛ الفن المعماريّ، وتقاليد الحياة اليوميّة. كما وتضيف "الزناد" أن تعلّق الجالية الأندلسيّة وحنينها إلى واقعها الأندلسيّ أمر معروف، نجده في النماذج المعماريّة لمساكنها سواء المدينيّ منها أو الريفيّ، كذلك نجد المساجد الجوامع التي بنتها، من مثل؛ جامع " تستور". كما نلمس أيضا مظاهر أخرى لهذا التعلّق كطريقة اللباس، وعادات الطهي، والسلوك، وأيضاً عبر الاختلاط بسكان البلدان التي نزلت بها، خصوصًا أنّ من هذه الجالية مَن لم يستعمل لمدة قرن لغة أخرى غير اللغة الإسبانية. وتروي بعض الأساطير بخصوصهم أنهم أخذوا مفاتيح ديارهم معهم في أمتعتهم. وهذا يدل على مخيّلة جمعيّة تحنّ إلى فترة الحضارة الأندلسيّة.

نظريّة "أماكن الذّاكرة".

طوّر هذه النّظريّة المؤرخ الفرنسيّ وعالم الاجتماع بيير نورا Pierre Nora عام (1980) وهي إعادة تقييم لنظريّة الذاكرة الجمعيّة لموريس هالبواكس (1952)، إذ حاول "نورا" أن يبرهن في نظريّته "أماكن الذاكرة" أنّ ذاكرة الأمة الفرنسيّة الجماعيّة ورموزها وهويّتها القوميّة قد تغيّرت على مرّ السنين، ومن ثَمّ فإنّ الذي يحافظ على الهويّة الجماعيّة القوميّة، واستمراريّتها عبر الأجيال هي الرموز الثابتة أو الأماكن التذكّرية (Kimbro, 2000: 3-4).

[7] نقلاً عن شهاب اليحياوي (2007).

على الرّغم من أنّ هالبواكس في نظريّته الذّاكرة الجماعيّة، قد تنبه في وقت مبكر إلى البعد الجماعيّ للتذكر الاجتماعيّ، وإلى العلاقة "المصيرية" بين التّذكّر والهويّة داخل المنظومة الاجتماعيّة، إلا أنّه لم يهتم كثيرًا بالإجابة عن السؤال: كيف بإمكان التّذكر أن يؤسّس فعليًا الهويّة القوميّة وأن يضمن بقاءها؟ أجاب المؤرخ الفرنسيّ وعالم الاجتماع بيير نورا (1989) عن هذا السؤال، في مؤلّفه الضّخم Sites of Memory (أماكن الذّاكرة) وذلك عبر دراسة العلاقة التأثّريّة المتبادلة بين ما يمكن أن نسميها "بأشكال التّذكّر" والهويّة. وقد أظهر أنّ التّخلي عن الطقوس التّذكّرية، وإهمال الأشكال الذاكراتيّة في جماعة قوميّة يفسح المجال أمام تفشي ما يسميه بـــ"النسيان الجماعيّ"، ممّا يؤدي لا محالة إلى توهين أسّس الهويّة القوميّة وإضعافها، وربما تلاشيها. ويرى نورا أنّ "أماكن الذّاكرة"، هي الضّامن الوحيد لاستمراريّة الارتباط الجماعيّ بالماضي القوميّ، بل هو الذي يؤسّس في المقام الأول للهويّة القوميّة أو الجماعيّة المشتركة والمحافظة عليها (سوكاح، 2008: 82).

يتبين لنا من النقاش السّابق أنّ عالم الاجتماع الفرنسي "بيير نورا" قد ركّز بشكل رئيس على دراسة الأبعاد الاجتماعية المرتبطة بعمليّة إحياء الذّاكرة وعلاقتها بتشكيل الهويّة القوميّة، وذلك في إشارته إلى المجموعات الاجتماعية التي طالها الظلم والاضطهاد في الفترات السابقة. إذ تجسّد إعادة تركيب صورة الماضي (أي استحضار الذاكرة وإحياؤها) شكلاً من أشكال إعادة الاعتبار للهويّة القوميّة التي طُمست خلال المراحل السابقة. وأشار "بيير نورا" (1989) إلى وجود " ثلاث مجموعات رئيسة تخوض معترك إعادة صياغة الذّاكرة في سعيها لتأكيد هويّتها الجماعيّة، وهي تشمل كما حدّدها (نورا) أولاً: المجتمعات ذات الإرث الاستعماريّ الصعب والطويل والتي تصبو إلى إعادة تشكيل وعيها بذاتها الذي تشوّه بفعل السّيطرة الاستعماريّة –على سبيل المثال اللاجئون الفلسطينيون– وثانياً: تشمل الأقلّيات العرقيّة والدينيّة والفئات الاجتماعيّة المختلفة في البلدان الغربيّة، وثالثاً: مجموعة الشعوب التي كانت ضحيّة الأنظمة ذات الأيديولوجيّات الشموليّة في العالم الغربي وإفريقيا وآسيا" (Nora, 1989: 16- 14).

ويلخص عالم الاجتماع "بيير نورا" (1989) في كتابه "بين الذاكرة والتاريخ" (Between memory and history) مفهوم نظرية "أماكن الذاكرة" بالقول: "يتمثل الهدف الأكبر "لمكان الذّاكرة" في إيقاف عجلة الزّمن، لسدّ الطّريق على مفاعيل النّسيان، لخلق نظام من الأشياء، وتحويل الأشياء غير الماديّة إلى أشياء ماديّة ملموسة. يحدث ذلك كله للقبض على القليل القليل من العلامات. ومن الواضح، أيضًا أنّ أماكن الذّاكرة لا توجد لقابليتها العالية للتّشويه والاندثار، وإمكانية تدوير معانيها إلى ما لا نهاية، وبفضل التشعّبات غير المتوقعة لتوالدها"(سعدي، 2003: 40). وتشمل أماكن الذاكرة حسب "بيير نورا" أمكنة جغرافيّة ومقدّسة وبنايات، ونصبًا ومزارات وتماثيل وأعمالًا فنية، وأيضًا شخصيات تاريخيّة، وأيامًا تذكّرية، والعلم، والنشيد الوطنيّ، ونصوصًا فلسفية وعلمية، والعديد من الأنشطة الرمزية (Schwartz, 1997: 470).

ثانياً: الدّراســـات السابقـــــة : [8]

بعد الإطلاع على الدراسات السّابقة، وجدت أنّ هدف مجموعة منها يتّجه إلى تناول المشكلات التـــي واجهت اللاجئين الفلسطينيين منذ العام 1948، والأسباب التي أدّت إلى عدم عودتهم إلى قراهم الأصـــليّة التي أخرجوا منها بالقوة (موريس 1993؛ عبد الهادي 2002).

ووجدت أنّ مجموعة ثانية من الدراسات اتّجهت إلى تعرّف مواقف "إســـرائيل" والســـلطة الفلســـطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية والطروحات التي نوقشت حول كيفية التعامل مع مسألة حق العودة، والإمكانات المقترحة لحلّها (غازيت 1995؛ فياض 2001؛ الموعد 2003؛ محيي الدين2003؛ الكيالي 2003؛ عبد الكريم 2006؛ دراسة الشوملي 2007).

وسعى قسم ثالث منها إلى تعرّف مدى تمسّك اللاجئين الفلسطينيّين بالمكان الأصليّ ومعرفتهم عنـــه،من مثل: دراسة (بركات و ضود 1968، وجرار 1994، وعيسى 2004، والزبن 2007، والحولي 2009). وهدفت دراسات أخرى التّعرّف إلى آراء أو مواقف اللاجئين الفلسطينيّين وخياراتهم وأفضليّاتهم في مسألة حقّ العودة وقراراته الدوليّة، من مثل؛ دراسة (عويضة 1998، و دراســـة مؤسســـة مشـــرقيات 2001، ودراسة المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسحية 2003، و دراسة المؤسســـة الفلســـطينيّة لحقـــوق الإنسان " شاهد" 2004، ودراسة نبريص وأبو العيون 2005، و دراســـة مركـــز الزيتونـــة للدراســـات والاستشارات 2006).

وأخيراً هدفت بعض الدراسات السابقة إلى إثبات أنّ حق العودة من القضايا الاستراتيجيّة المقدّسة لـــدى الفلسطينيّين، ومن الممكن تحقيقه، وذلك بالاعتماد على الشواهد والوثائق والسّجلات العربيّة والإســـرائيلية المدعّمة بالأرقام والخرائط (أبو ستة 1999؛ أبو حيط 2002). وعلى الرغم من أنّ هذه الدراسات تختلف في الإشكاليات التي تناولتها وفي الأساليب البحثيّة التي اتبعتها إلا أنّها تشترك في تناولها لموضوع التّهجير وحقّ العودة للاجئين الفلسطينيّين وهي كالآتي:

---

[8] في هذا المجال، تشير شطي وهونت (2007: 9) إلى أن العقد الماضي، شهد ظهور كم كبير من الأبحاث والدراسات عن اللاجئين ومخيماتهم، وكانت تطورات عملية السلام في بداية التسعينيات من القرن الماضي، الدافع الأساسي وراء التوسع في هذا المجال، ولذا فإن هذه الدراسات بوجه عام ذات ارتباط بما يجري على الصعيد السياسي. وهي تركز على البيانات الاجتماعية- الاقتصادية وعلى قضايا الاندماج والتكامل.

1- المشكلات التي واجهت اللاجئين الفلسطينيّين منذ العام 1948، والأسباب التي أدّت إلى عدم عودتهم إلى قراهم الأصليّة التي أخرجوا منها بالقوة

أجرى موريس[9] (1993) دراسة حول عمليّة طرد الفلسطينيّين من وطنهم وولادة مشكلة اللاجئين بهدف معرفة لماذا تحوّل ما بين ستمئة إلى سبعمئة ألف فلسطيني إلى لاجئين خلال الفترة بين شهر كانون أول 1947 ولغاية شهر أيلول 1949؟ وكيف جرى ذلك؟ ولماذا ظلّوا لاجئين بعد الحرب ولم يعودوا إلى قراهم ومدنهم الأصلية؟ وقد اعتمد الباحث في جمعه للمعلومات على الوثائق السّياسيّة الرّسمية في دولة "إسرائيل"، وعلى المعلومات التي كانت موجودة في التقارير الاستخباريّة "الإسرائيليّة" والرسائل الدبلوماسيّة البريطانيّة والأمريكيّة، بالإضافة إلى المذكّرات اليوميّة لكبار دولة "إسرائيل" في الوقت الماضي. وقد توصل موريس إلى أنّ اللاجئين الفلسطينيين الذين تراوح عددهم ما بين ستمائة ألف إلى سبعمائة ألف مازالوا مقيمين في أماكنهم التي سكنوها بعد عملية التّهجير؛ وذلك لأنّ "إسرائيل" لم توافق على عودتهم، ولم توافق الدول العربيّة على استقبالهم بوصفهم مهاجرين جددًا، وهكذا بقي جميعهم في الأماكن التي وصلوا إليها بحثاً عن ملجأ مؤقت لهم.

وأعدّ عبد الهادي (2002) دراسة حول "ديمغرافية اللجوء الفلسطيني وحق العودة"؛ بهدف تناول مختلف أوجه مشكلات اللجوء الفلسطينيّ، والتّعرف إلى جذوره التاريخيّة وأسبابه الحقيقيّة، مسلطًا الضوء على ما رافق قيام الدولة العبريّة سنة 1948 من مذابح ومجازر بشعة كانت تندرج في صميم الاستراتيجية "الصهيونية" الرّامية إلى تكريس أكذوبة " أرض بلا شعب لشعب بلا أرض" عبر القتل الوحشيّ والترحيل القسريّ لأبناء فلسطين. واعتمد الباحث في جمعه للمعلومات والمعطيات العلميّة والإحصائيّة الموثّقة والخرائط الموجودة، وعلى الوثائق والقرارات والقوانين الدّولية، والأدبيّات والدّراسات التي تناولت اللاجئين الفلسطينيين، وحقهم في العودة إلى فلسطين التاريخيّة.

وفي نتيجة مشابهة لدراسة موريس أظهرت دراسة عبد الهادي أنّ ثلاثة أرباع الفلسطينيّين ظلّوا في فلسطين التّاريخيّة نفسها، موزعين على مناطقها الثلاث ("إسرائيل"، والضفة الغربية، وقطاع غزة)، فيما استقر زهاء 24% من إجمالي الفلسطينيين في دول الجوار (كالأردنّ وسوريا ولبنان ومصر) الأمر الذي يعكس مدى تعلّق الفلسطينيين بوطنهم، وحرصهم على البقاء قريبين منه ما أمكنهم ذلك. وهذا يشير إلى أنّ اللاجئين الفلسطينيين لم يبتعدوا كثيرًا عن قراهم ومدنهم الأصليّة، ورغبوا في العودة بعد أن تهدأ الحرب.

---

[9] هنا لا بد من الإشارة إلى الانقلاب الأيديولوجي الذي حدث على فكر المؤرخ الإسرائيلي "بيني موريس"، و في كتابه الجديد "1948 تاريخ الحرب العربية -الإسرائيلية الأولى" اعترف موريس بأن عملية التطهير العرقي في عام 1948 كانت خطه ممنهجة وهو ينتقدها ويعتبرها من الأخطاء الاستراتيجية؛ لأنها لم تكن محكمة بما فيه الكفاية حيث بقي الكثير من الفلسطينيين في بيوتهم (ما يقارب 10 % من الذين يعيشون داخل الدولة اليهودية).ويدعي موريس كذلك أن الحرب في عام النكبة (1948) لم تكن صراعاً على الأرض، وإنما تدخل في إطار الجهاد الأول، وهي حرب لا تزال مستمرة حتى اليوم، وأنه من غير المؤكد أن "إسرائيل" ستنتصر فيها. بحسب موريس. وأخيراً يقول موريس إن "الدولة اليهودية" "لا يمكن أن تنشأ من دون اقتلاع 700.000 فلسطيني. لم يكن هناك خيار سوى طرد ذلك الشعب". بالنسبة إلى موريس، هذا أحد "الظروف التاريخية التي تبرّر التطهير العرقي" (إيلان، 2004: 47 ؛ مجدلاوي، 2010).

2- مواقف الأطراف الفلسطينيّة و "الإسرائيليّة" من حقّ العودة

أجرى غازيت (1995) دراسة حول الحلّ الدّائم لقضية اللاجئين الفلسطينيين من منظور"إسرائيلي" وذلك لتحديد المواقف"الإسرائيلية" من قضيّة اللاجئين الفلسطينيين،وقد هدفت التّعرّف إلى معطيات عن أعداد اللاجئين وأبعاد المشكلة ومواقف الأطراف المعنية مباشرة بالمشكلة تجاه الحلول الممكنة لها (الفلسطينيون والمتمثلة بالسلطة الفلسطينية والطرف "الإسرائيلي").

وفي الإطار ذاته، أجرى الكيالي (2003) دراسة حول المقاربات الإسرائيلية لحلّ قضيّة اللاجئين الفلسطينيين هدفت إلى إلقاء الضوء على أبعاد قضيّة اللاجئين الفلسطينيّين وتعقيداتها ، وإلى تعرّف مكونات الرؤية الإسرائيليّة لمسألة اللاجئين الفلسطينيين، من منظور تاريخيّ، وسعت الدراسة أيضاً إلى تعرّف بعض المشاريع الإسرائيلية التي طرحت لحلّ مشكلة اللاجئين الفلسطينيين، كمقايضة المستوطنات بحقّ العودة، أو العودة إلى مناطق السلطة الفلسطينيّة، أو التعويض المعنويّ، أو التّوطين في البلاد العربية.

وأجرى عبد الكريم (2006) دراسة حول اتّجاهات حلّ مشكلة اللاجئين الفلسطينيّين في التّفاهمات "الإسرائيلية" – الفلسطينية غير الرسمية. وسعت الدراسة إلى تحقيق ما يأتي: أولاً: إثبات إمكانيّة وجود علاقة وثيقة بين الثّوابت الصهيونيّة الخاصّة بعمليّة "تهويد فلسطين"، والمحاولات الصهيونيّة الرامية إلى استخدام التفاهمات غير الرسمية؛ من أجل الحصول على اعتراف القيادات الفلسطينية غير الرسمية "بالكيان الإسرائيليّ" الذي أوجدته في فلسطين، والكفّ عن مطالبتهم بتغيير الواقع الذي كرّسته في المناطق التي احتلتها عام 1948 عبر إحجامهم عن طرح موضوع حقّ العودة للاجئين الفلسطينيين. وثانياً: سعت الدّراسة إلى كشف تفصيلات الإصرار "الصهيوني" على رسم حلّ إجباري وقسري لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين خارج إطار الحلّ الطبيعيّ" القرارات الدوليّة " لها والمتمثل بعودتهم إلى مدنهم وقراهم الأصلية.

أمّا Kossaifi (1996) فأجرى دراسة حول اللاجئين الفلسطينيين وحقّ العودة؛ بهدف تقديم وجهات نظر مختلفة حول مبدأ حقّ العودة في قرارات الأمم المتحدة، والسّياسات الرّسميّة "الإسرائيليّة"، وفي المباحثات الثنائيّة والمتعددة الأطراف. وأيضاً محاولة الإسهام في إيجاد قرار شامل لقضية اللاجئين الفلسطينيين.

واعتمد هؤلاء الباحثون في جمعهم للمعلومات على الدّراسات الفلسطينيّة و"الإسرائيليّة" التي ناقشت مسألة اللاجئين وحقّ العودة، وعلى المشاريع والوثائق ووجهات النّظر "الإسرائيليّة" والفلسطينيّة الرسميّة، وغير الرسميّة المقترحة لحلّ القضيّة الفلسطينيّة، وحقّ اللاجئين في العودة.

وقد أظهرت هذه الدراسات أنّ "إسرائيل" ترفض مبدأ العودة إلى القرى والمدن التي احتلتها عام 1948 بأيّ شكل من الأشكال، ففي هذا الإطار بيّن غازيت (1995) أنّ "إسرائيل" ترفض بشكل مطلق عودة اللاجئين الفلسطينيّين، ومن ثَمّ فإنّه يتعيّن على "إسرائيل" أن تقدم مساهمة نفسيّة عن طريق إعلانها أنّها تعترف بالمعاناة الفلسطينية، وبضرورة تعويض اللاجئين عن الممتلكات التي فقدوها.

أما الكيالي (2003) فقد أوضح أنّ "إسرائيل" ترفض حقّ العودة لأسباب أيديولوجيّة وديمغرافيّة وسياسيّة وأمنيّة وتاريخيّة، ومن ثَمّ "فالصهاينة" لا يعترفون بالحقّ التاريخيّ للفلسطينيين في أرضهم؛ لأنّ هذا الاعتراف يعرّض روايتهم التاريخيّة التي سوّغوا بها تهجير شعبنا وتشريده للاهتزاز. بينما أكد عبد الكريم (2006) على أنّ التفاهمات غير الرسمية بين الشخصيات الفلسطينية و"الإسرائيلية" قد أسهمت بشكل كبير في صياغة صورة ذهنية قوامها إمكانية تنازل الشعب الفلسطيني عن حق العودة. بينما أظهر Kossaifi (1996) أنّ المواقف "الإسرائيلية" الأكثر ليونة في موضوع حقّ العودة، هو موقف حزب العمل، ولكن هذا الموقف، يسمح فقط بحق عودة مشروط وجزئي إلى الضفة الغربية وقطاع غزة. وخلص Kossaifi إلى أنّ جلّ جهود فريق عمل اللاجئين في المباحثات الثنائية الرسمية بين "الإسرائيليين" والفلسطينيين في عام 1993 كان متمركزًا على القضايا الإنسانية وليس السياسيّة، ويتضح هذا بتأكيد جميع الوفود على التزامها بالمشاريع والإجراءات التي تهدف إلى التخفيف من معاناة اللاجئين الفلسطينيين واكتفائهم الذاتي.

وللتعرّف إلى المواقف الفلسطينيّة (الرسميّة وغير الرسميّة) من قضيّة اللاجئين الفلسطينيّين، أجرى محيي الدين (2003) دراسة حول حقّ العودة في المواقف الرسميّة الفلسطينيّة من عام 1998–2002؛ بهدف توضيح التفاعلات داخل الساحة الفلسطينية نتيجة التطورات السياسيّة، وانعكاساتها على مسألة اللاجئين الفلسطينيين، والتعرف إلى مواقف قيادات منظمة التحرير والسلطة الفلسطينية في المفاوضات التي جرت في مؤتمر مدريد في عام 1991 وحتى صيف عام 2000، من قضية حقّ العودة ومسألة اللاجئين الفلسطينيين.

وأجرى فيّاض(2001) دراسة حول مكانة حقّ العودة في الفكر السياسيّ الفلسطينيّ بهدف إلقاء الضوء على جذور قضيّة اللاجئين الفلسطينيّين لدى التيارات الفكريّة السياسيّة الفلسطينيّة (القوميّة والعلمانيّة والإسلاميّة واليساريّة) في مراحلها المختلفة، النّكبة والثّورة والتّسوية، ولاستعراض التّطورات الديمغرافية والسياسيّة التي مرت بها القضيّة الفلسطينيّة وبخاصة المتغيّرات الإقليميّة والدوليّة. بالإضافة إلى ذلك هدفت الدّراسة إلى رصد الأبعاد القانونيّة والدوليّة والإنسانيّة والحلول السياسيّة المطروحة لقضيّة اللاجئين في المفاوضات ابتداءً من مدريد إلى أوسلو. كما قيّمت الدّراسة التجربة السّابقة تجاه التوصّل إلى تفاهم

عربيّ– فلسطينيّ مشترك يؤسس لاستراتيجيّة متكاملة لمعالجة قضيّة اللاجئين والحفاظ على حقّهم في العودة إلى ديارهم.

أمّا الشوملي (2007) فأجرى دراسة حول حقّ العودة في خطاب منظمة التحرير الفلسطينيّة بهدف رصد مكانته في الخطاب السياسيّ لمنظمة التّحرير الفلسطينيّة ومتابعته وتحليله بين عامي 1964و2000.وكان مصدر المعلومات لتلك الدراسات هو الأدبيّات والموسوعات والدراسات "الإسرائيلية"والفلسطينية التي ناقشت موضوع اللاجئين الفلسطينيين وحقّ العودة، بالإضافة إلى وثائق منظّمة التّحرير الفلسطينيّة والسلطة الفلسطينية، ومواقف التيارات والفصائل الفلسطينية نحو القضيّة الفلسطينيّة، والحلول المقترحة لحل مشكلة اللاجئين الفلسطينيّين.

وتوصلت تلك الدّراسات إلى أنّ المواقف الرسميّة الفلسطينيّة قد أسهمت في إضعاف مبدأ حقّ العودة وضعف الإصرار عليه، إذ أظهر محيي الدّين (2003) أنّ الخطاب السياسيّ للسلطة الفلسطينية اعتمد مبدأ التنازلات خطًّا أساسيًّا في البحث عن حلول للقضايا الوطنيّة الأساسيّة والجوهريّة علّه يكون مقبولاً لدى الدوائر الأمريكيّة و"الإسرائيلية". فالخطاب الرسميّ الفلسطينيّ منذ الدعوة إلى عقد مؤتمر مدريد في عام 1991 وحتى اللحظة، ينطلق من قناعة تامّة تقوم في جوهرها على التكيّف مع المشروع الأمريكي – "الإسرائيلي" للتّسوية في المنطقة، باعتباره الخيار الوحيد الممكن للحفاظ على الذّات الفلسطينيّة في عالم جديد أحادي القطبية تهيمن عليه الولايات المتحدة الأمريكية. وأنّ مواقف القيادة الفلسطينيّة في مراحل التسوية والمفاوضات (مرحلة إقامة سلطة الحكم الإداري الذاتي 1994، مرحلة كامب ديفيد ومفاوضات طابا من عام 1998 – 2001، وأخيرًا مرحلة صعود بوش وشارون إلى سدة الحكم في كلّ من واشنطن وتل أبيب في 2001) قد اعتمدت سياسة مائعة إزاء قضية اللاجئين، واتّسمت مواقفها في تلك المراحل بالمواقف السياسيّة الإعلاميّة الموجهة للاستهلاك المحليّ، والمواقف التي يجري التفاوض عليها في الاتصالات واللقاءات السريّة تراوحت بين التمسك بقرارات الشرعية الدولية، وحق اللاجئين الفلسطينيّين في العودة والتعويض لفظيًا، وإبداء الاستعداد للمساومة على القرارات والحقوق المشروعة للاجئين، الذين يشكّلون أكثر من نصف أبناء الشعب الفلسطيني، وتعيش غالبيتهم العظمى في مخيّمات بئيسة، وفي ظروف صعبة وقاسية ولا إنسانية.

وأكد فيّاض (2001) على أنّ الفكر السّياسيّ الفلسطينيّ وخاصة منذ نشوء مشكلة اللاجئين الفلسطينيّين وقضيّة حقّ العودة كان يعتريه حالة من الإرباك وعدم الوضوح وعدم النّضج. أي لم يكن هنالك إجماع وطني واتجاه واضح من قبل التيارات السياسيّة الفلسطينيّة المختلفة(القومية والعلمانية والإسلامية واليسارية) نحو حق العودة، ونتج ذلك عن التمزق الذي أصاب الحركة الوطنيّة الفلسطينيّة، أضف إلى ذلك ضعف الأداء التفاوضيّ الفلسطينيّ بشكل عام في مقابل مواصلة قوة الأداء"الإسرائيلي".

علاوة على أنّ المرجعيّة بين المنظمة والسلطة في مسألة حقّ العودة لم تكن أيضًا واضحة؛ فمنظّمة التّحرير الفلسطينيّة كانت تعدّ حقّ العودة قضية معنوية ونفسية دون أن تقدّم الشرط الماديّ السياسيّ المتمثل في العودة إلى أرض الوطن، أمّا السّلطة الفلسطينيّة فإنّها تلاعبت بمفهوم حقّ العودة، وكانت تعدّ العودة من وجهة نظرها عودة الأجهزة القياديّة المنضوية تحت راية أوسلو، واعتبرت حق العودة قضية ثانوية، بالإضافة إلى أنّ تفسير موضوع حقّ العودة قد لاقى اختلافًا واضحًا بين المعارضة والسلطة.

وأخيرًا توصّل الشوملي (2007) إلى أنّ توقيع اتفاقية أوسلو عام 1993 قد رحّل حقّ العودة إلى مفاوضات الحلّ النهائيّ. كما أسقط المرجعيّة الدوليّة له وهو القرار (194) من أسس الحلّ، وأصبحت مرجعيّة الحلّ تستند إلى قراري مجلس الأمن (242) و(338) وما يتفق عليه الجانبان الفلسطيني و"الإسرائيلي" خلال المفاوضات الثنائية. ليدخل حقّ العودة بذلك في نفق المجهول. ورأى أنّ أحد الأسباب الرئيسة التي أدّت إلى تقهقر مكانة حقّ العودة في خطاب منظمة التحرير الفلسطينية هو بنيتها التنظيمية التي أضحت بنية بيروقراطية يسهل احتوائها وزجّها في مسارات سياسيّة خطرة.

3- موضوع حقّ العودة للاجئين الفلسطينيّين ومعرفتهم وتمسّكهم بالمكان الأصليّ

وفي هذا المجال هدفت دراسة بركات وضود (1968) التعرّف إلى الناس الذين نزحوا، والأسباب التي أدت إلى نزوحهم، ورغبتهم بالعودة، والأحداث التي عايشوها أثناء الحرب، والتعرف إلى نوع الضغط الذي جعل النازحين يتركون بيوتهم وأراضيهم. واعتمد الباحثان في جمعهما للمعلومات على الدراسة الميدانيّة، باستخدام الاستبانة التي تكوّنت من خمسين سؤالاً مغلقًا ومفتوحًا على عيّنة عشوائيّة مكوّنة من مئة عائلة فلسطينيّة تسكن في مخيم زيزياء بالأردن. وقد أُخذت المعلومات من ربّ العائلة.

وركّزت دراسة جرّار (1994) على ظروف اللاجئ الفلسطيني بشكل خاص للتعرف إلى ثلاثة مؤشرات رئيسة وهي: (1) عمق ارتباط اللاجئ الفلسطيني بوطنه الأصليّ عبر معرفة ملكيته قبل الهجرة، ومشاركته ونوع مشاركته في المقاومة قبل العام 1948، ومعرفته ببلده الأصليّ، واتصاله به. (2) وضعه الاقتصاديّ والسكنيّ واتجاهاته نحو المعيشة في المخيّم وذلك عبر معدّل دخل الأسرة الشهريّ، والعمالة وظاهرة البطالة، واتجاهاته نحو سكنه، واتجاهاته نحو بقائه في المخيّم. (3) اتجاهاته وفاعليته السّياسيّة: أي لمن ولاؤه للأمّة الإسلامية، للأمّة العربية، لفلسطين، للمخيم. والفاعلية السياسيّة التي تتحدّد بعضويّته في أحد الأطر السيّاسيّة، وآثار عمله السياسيّ عليه، واتجاهاته نحو الحلول السياسيّة.

واعتمد الباحث في جمعه للبيانات على دراسة ميدانيّة باستخدام الاستبانة أداة لجمع البيانات والتي احتوت على ثلاثة وتسعين سؤالاً مغلقاً لمعرفة الأوضاع الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة في المخيّم وأثرها على

الانتماء السياسيّ. واستخدمت الدّراسة عيّنة عشوائيّة تكوّنت من (143) وحدة سكنية (عائلة) أي (5%) من عدد الوحدات السكنيّة في كلّ من مخيمي بلاطة والفارعة في نابلس شمال الضفة الغربية. وتم أخذ المعلومات من ربّ الأسرة ومن كلّ شخص فوق الثامنة عشرة من عمره.

أما دراسة عيسى (2004) حول الذاكرة الجماعيّة لدى أطفال فلسطين فهدفت لمعرفة ما تختزنه ذاكرة الأطفال الفلسطينيين من صور وقصص ومعلومات سياسيّة عن فلسطين ما قبل 1948 وما حدث حينها. هذا إضافة إلى المصادر التي استقوا منها هذه المعرفة. واستخدمت الباحثة دراسة مسحيّة باستخدام الأسلوب الكيفيّ وبوساطة المقابلة المقننة أداة لجمع البيانات على عينة غير عشوائية مكونة من (71) طفلاً لاجئاً وغير لاجئ، وُجمعت المعلومات من الأطفال الذين تراوحت أعمارهم من 7 – 15 سنة، في مناطق مختلفة في الضفة الغربية (القدس، رام الله، الخليل، بيت لحم) وقطاع غزة.

بينما أجرى الحولي (2009) دراسة حول دور مؤسسات التنشئة الاجتماعيّة الفلسطينيّة في تكريس حقّ العودة؛ بهدف التّعرف إلى مستوى معرفة طلاب الجامعات الفلسطينيّة في قطاع غزة لمفهوم حقّ العودة، وما مدى أهمية دور مؤسسات التنشئة الاجتماعيّة الفلسطينيّة في تكريس حق العودة. واعتمد الباحث في دراسته وجمعه للبيانات على الدّراسات التي تناولت حقّ العودة للاجئين الفلسطينيين، وعلى الأدبيّات والقرارات المتعلقة باللاجئين الفلسطينيين. واستخدم الباحث الاستبانة أداة لجمع المعلومات، وقد تكوّنت من ثلاثة محاور هي: (معلومات عامة، و 15 فقرة تقيس دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية الفلسطينية في تكريس حق العودة)، على عيّنة طبقيّة عشوائية مكوّنة من (477) طالبًا وطالبةً من الجامعات الفلسطينية بقطاع غزة وهي: الجامعة الإسلامية، وجامعة الأزهر، وجامعة الأقصى. وأُخذت البيانات من طلاب السنة الرابعة فقط في هذه الجامعات، أي من عمر 22 عاماً فما فوق. وأجرت الزبن (2007) دراسة مقارنة حول هوية اللاجئين في ثقافتهم ولغتهم المحكية بين أبناء الجيلين الثاني والثالث للنكبة؛ بهدف فهم العلاقة الجدليّة بين تقادم الأجيال وهوية اللّجوء لدى اللاجئين الفلسطينيين. واعتمدت الباحثة في جمعها للمعلومات على دراسة ميدانية باستخدام المنهج الكيفيّ عبر أسلوب المقابلة المقنّنة أداة لجمع البيانات، واستخدمت الدّراسة عينة مكوّنة من (7) أشخاص من الجيل الثاني والثالث للنكبة، وممّن يسكنون مخيم الجلزون في محافظة رام الله.

وقد توصّلت هذه الدّراسات إلى نتائج عديدة أهمّها: أنّ 79% من النازحين الفلسطينيين الجدد، و 30% من اللاجئين السابقين كانوا يملكون أراضي زراعية في أماكنهم الأصليّة (بركات وضود 1968). وتتفق دراسة جرّار (1994) مع هذه النتيجة، فقد أكدت أنّ الوضع الاقتصادي للاجئين الفلسطينيين قبل الهجرة كان أفضل من وضعهم الحالي، إذ اتّضح أنّ 84.8% من الأسر كانت تمتلك الأراضي في بلداتها الأصليّة، وكذلك أظهرت الدراسة أنّ 31.6% من المبحوثين يطالبون بإرجاع كلّ فلسطين، و 48.3%

يطالبون بإقامة الدولة الفلسطينية على الضفة الغربية وقطاع غزة، وفقط 8.6% يطالبون بالتعويض. وأنّ 83.2% من أفراد الأسر لديهم معلومات عن بلدهم الأصليّ.

وبيّنت دراسة عيسى (2004) بخصوص معرفة الأطفال عن موضوع النكبة، أنّ المبحوثين وخاصة سكّان المخيّمات منهم لم يعرفوا إلا الشيء القليل عن هذا الموضوع. وأنّ أطفال المخيّمات أدلوا بمعلومات ضئيلة جداً لا تتعدّى أكثر من معرفة أصول البلد الذي جاءوا منه، وتعريف اللاجئ بالمطرود من أرضه. وأخيراً خلصت الدّراسة إلى أنّ وجود الجدّ والجدّة في بيت العائلة هو أمر ضروري ومهم لتزويد الأطفال بمعلومات حول أصولهم وذكرياتهم الدقيقة والتفصيلية لما حدث في القرية الفلسطينية قبل النكبة.

وفي سياق مشابه أظهر الحولي (2009) فيما يتعلق بدور الأسرة في تكريس حق العودة، أنّ تقديرات أفراد العيّنة كانت أعلى في الفقرتين (ذكر رحلة الهجرة الفلسطينية للأبناء، سرد القصص المرتبطة بحق العودة من قبل الجدّ والجدّة). وبخصوص المعرفة عن حق العودة، بيّنت الدّراسة أنّ 95.5% من طلاب الجامعات الفلسطينية في قطاع غزة سمعوا عن حق العودة، و 20.3% من أفراد العيّنة لديهم معرفة برقم قرار حقّ العودة (القرار 194)، و 25.5% فقط لديهم معرفة بسنة صدور قرار حقّ العودة.

وفي سياق آخر، أكدت دراسة الزبن (2007) أنّ الجيل الثالث للنكبة يحمل وعيًا سياسيًا بالقضية الوطنية؛ نتيجة التأثير المباشر للمكان (المخيم) من جهة، ولما يحملونه من ذاكرة الآباء والأجداد من جهة أخرى. كما أن هنالك تراجعًا في هوية اللجوء بين أبناء الجيل الثاني وأبناء الجيل الثالث للنكبة نتيجة التفاوت في نقل الذاكرة وتوريثها لأبناء الجيل الثالث. وكذلك غياب المرجعيات السياسيّة والاقتتال الداخليّ على الساحة الفلسطينيّة بين فتح وحماس. وأيضاً تغييب قضية اللجوء من فحوى الخطاب السياسيّ الفلسطينيّ، وخاصة بعد توقيع اتفاقية أوسلو للسلام عام 1993، بالإضافة إلى تراجع دور الأحزاب السياسيّة الوطنيّة والإسلاميّة واليساريّة. وخلصت الدراسة إلى أنّ أبناء الجيلين الثاني والثالث للنكبة يرفضون التنازل عن حقّ العودة، وهي غير واردة في أذهانهم، ويعتبرونها خطًا أحمر أمام جميع المغريات المادية المتداولة.

3- أراء اللاجئين الفلسطينيين ومواقفهم وخياراتهم وأفضليّاتهم لمسألة حقّ العودة وقراراته الدوليّة

هدفت دراسة عويضة (1998) حول اتّجاهات اللاجئين الفلسطينيّين في مخيّمات الضفة الغربية نحو الحلّ الدائم لمشكلاتهم إلى تعرّف مدى تمسّك اللاجئين الفلسطينيّين في مخيّمات الضفة الغربية بحقّ العودة، ومدى تقبّل اللاجئين التعويض بوصفه حلاًّ دائمًا وفي أيّ ظروف، ومدى تقبّل اللاجئين التّوطين وفي أيّ أماكن، ومدى توافق اللاجئين على ترك المخيّمات، والدور الذي يراه اللاجئون لوكالة الغوث في الحل

الدائم. واعتمد الباحث على مسح ميداني لجمع البيانات، مستخدمًا استبانة مكوّنة من(75) سؤالاً مغلقًا لحصر اتّجاهات اللاجئين في مخيّمات الضفة الغربية، والمقيمين في (19) مخيمًا والبالغ عددهم 132.376 نسمة. وقد حصل الباحث على عيّنة عشوائية طبقية مكونة من (425) مبحوثًا من البالغين الذين تزيد أعمارهم عن الثامنة عشرة من العمر.

وفي دراسة استطلاعيّة حول اللاجئين والعودة، حاولت مؤسسة مشرقيات (2001) معرفة آراء النّساء في قطاع غزة، ومدى معرفتهنّ بالمحاور الأساسيّة لقضيّة اللاجئين الفلسطينيّين، وحقّهم في العودة، ومدى معرفتهنّ بواقع اللاجئين الدّيمغرافي والأسس القانونية لحقوقهنّ، ومعرفة رأيهنّ في جملة من المفاهيم والحلول المقترحة لهذه القضية على المستوى السياسيّ. واعتمدت المؤسسة في جمعها للبيانات على مسح استطلاعيّ باستخدام الاستبانة والأسئلة المغلقة أداة لجمع البيانات، واستخدمت المؤسسة العيّنة العشوائيّة الطبقيّة والمكوّنة من (338) سيدة من ربات البيوت والموظفات والطالبات. وأخذت المعلومات من النّساء ممّن بلغت أعمارهن (18) عاماً فأكثر من مناطق عديدة في قطاع غزة وهي: (بيت حانون، والشاطئ، وجباليا، والنصيرات، والبريج، والمغازي، ودير البلح، وخان يونس، ورفح).

وأجرى المركز الفلسطينيّ للبحوث السياسيّة والمسحيّة بإشراف خليل الشقاقي (2003) دراسة حول آراء اللاجئين في المناطق الفلسطينية ولبنان والأردنّ من قضية اللاجئين في الحلّ الدائم؛ بهدف التّعرف إلى مواقف اللاجئين وخياراتهم في التّسوية الدائمة لخدمة الأغراض التفاوضيّة الفلسطينيّة، ووضع تقديرات لأعداد اللاجئين الذين يفضلون العيش في الدولة الفلسطينيّة أي التي ستقوم مستقبلًا على أراضي الضفة الغربية وقطاع غزة.

واعتمد المركز في دراسته وجمعه للبيانات على نتائج ثلاثة استطلاعات للرأي العام بين اللاجئين الفلسطينيين في مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة والأردنّ ولبنان، والتي بنيت على نتائج استطلاعات سابقة. وأجريت الدراسة خلال شهر يونيو2003، باستخدام الاستبانة أداة لجمع المعلومات والتي احتوت على أسئلة مغلقة على عينة عشوائيّة مكوّنة من (4506) مبحوثٍ من اللاجئين الفلسطينيين وغير اللاجئين في مناطق الأردن، ولبنان، والضفة الغربية، وقطاع غزة. أمّا دراسة المؤسسة الفلسطينيّة لحقوق الإنسان" شاهد" (2004) حول اللاجئين الفلسطينيين في لبنان وحق العودة، فهدفت إلى تحقيق أربع غايات وهي: (1) التعرف إلى موقف اللاجئ من حقّ العودة. (2) معرفه ما هي الشرائح العمريّة التي تريد العودة إلى فلسطين. (3) ما هي القرى والمناطق التي ينتمي إليها اللاجئون الفلسطينيون في لبنان. (4) تفعيل حقّ العودة في أوساط اللاجئين الفلسطينيين ونشر ثقافته في لبنان، عبر التوقيع على وثيقة كتب عليها " وثيقة حق العودة ". وجمعت الوثيقة معلومات ديمغرافية واجتماعية عن المبحوثين وموقفهم من عبارة حق العودة

مع توقيع المبحوث للوثيقة، ونص العبارة كالآتي: " أؤكد تمسّكي بحق العودة إلى بلدتي التي هجّرت منها على أيدي القوات الصهيونية، وأعلن عدم تفويضي لأيّ أحد كان بالتنازل عن هذا الحقّ، وأؤكد رفضي لأية مشاريع تهجير أو توطين بديلة". وقد استخدمت المؤسسة عيّنة عشوائيّة مكوّنة من (20.049) شخصًا من الذكور والإناث، وشملت الفئة العمرية أشخاصًا تراوحت أعمارهم بين 15 عامًا إلى 115 عامًا في جميع المخيمات الموجودة في لبنان.

لكنّ دراسة نبريص وأبو العيون (2005) حول توعية اللاجئين الفلسطينيين بحقوقهم المشروعة هدفت إلى: إعلام كافة شرائح اللاجئين الفلسطينيين في مخيم الجلزون وتثقيفهم من أجل التّعرف إلى قرارات الشرعية الدولية، وتقييم المواقف التي طرحت من جميع الأطراف حول موضوع حقّ العودة ورصد وتوثيق ردود فعلهم ووجهات نظرهم وتوصياتهم (أي إنّ الهدف من الدراسة نقل صوت اللاجئين إلى طاولة المفاوضات).

وقد استخدم الباحثان المنهج الكيفيّ وأسئلة المقابلة أداة لجمع البيانات على عيّنة عشوائيّة مكوّنة من (163) شخصًا من الذكور والإناث من سن 15 عامًا ولغاية 65 عامًا. أمّا مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات (2006) فقد أجرى دراسة استطلاعيّة حول رأي اللاجئين الفلسطينيين في لبنان؛ بهدف التّعرف إلى الآراء السياسيّة للاجئين الفلسطينيين في لبنان بعد الانتخابات التشريعية الثانية التي أجريت في الأراضي الفلسطينية في 25 فبراير عام 2006 وتشكيل حكومة جديدة بقيادة حركة حماس، وما تبع ذلك من تداعيات، ومقارنتها بما كان عليه الحال في الاستطلاع السّابق الذي أجراه المركز في 12 – 13 / 2005/10م لمعرفة شكل ومدى التغيير الذي طرأ عليها منذ شهر 2005/10م. واعتمد المركز في جمعه للمعلومات على نتائج الاستطلاع الحالي الذي أجري في شهر 2006/1م، وعلى نتائج الاستطلاع السّابق الذي أجري في شهر2005/10م، باستخدام الاستبانة أداة لجمع البيانات، والمكوّنة من (20) سؤالاً مفتوحًا احتوت على الخلفيّة الاجتماعيّة وعلى الآراء السياسيّة على عيّنة عشوائيّة مكوّنة من (1.033) شخصًا ممن تبلغ أعمارهم 18 عامًا فأكثر من الذكور والإناث المقيمين في المخيّمات الفلسطينيّة الموجودة في لبنان وعددها اثنا عشر(12) مخيمًا، وكذلك شمل المقيمين في أكبر تسعة (9) تجمعات فلسطينية.

وقد توصّلت هذه الدراسات إلى نتائج عديدة أهمها: أنّ 86.6% من المبحوثين وافقوا على أنّ مفهوم حقّ العودة يعني العودة إلى البلد الأصليّ بتعويض كليّ، ودون شروط. وعارض ما نسبته 79.4% أنّ مفهوم حقّ العودة يعني عودة قسم فقط من اللاجئين إلى ديارهم في فلسطين عام 1948. و 73.9% من المبحوثين اعتبروا أنّ جميع اللاجئين " الأغنياء والفقراء" سينفّذون حقّ العودة في حال السماح لهم بها، وأنّ 72.2% من المبحوثين عارضوا العودة إلى البلد الأصليّ وحمل جوازات سفر "إسرائيلية" (عويضة، 1998). وفي نتيجة مشابهة أظهرت دراسة المركز الفلسطينيّ للبحوث السياسيّة والمسحيّة (2003) أنّ

38.5% من لاجئي الضفة والقطاع، و 56.4% من لاجئي الأردنّ، و 50.2% من لاجئي لبنان يرفضون العودة لإسرائيل وحمل الجنسية الإسرائيلية، ويفضلون البقاء لاجئين حيث هم يعيشون الآن.

وبخصوص القرار (194) بينت دراسة مؤسسة مشرقيات (2001) أنّ 36% من النّساء المبحوثات يعتقدن أنّ القرار (194) يكفل العودة والتعويض معًا للاجئين الفلسطينيين، بينما ترى 29.9% أنّه يكفل حقّ العودة فقط، و 77.2% من المبحوثات يرينَ أنّ القرار (194) يكفل حق العودة إلى البلدة الأصلية، في مقابل 19.2% يرين أنّ القرار (194) يكفل حق العودة إلى أراضي السلطة الفلسطينية. بينما أظهرت دراسة نبريص وأبو العيون (2005) أنّ الغالبية العظمى من المبحوثين لا يعرفون تفاصيل القرارات والقوانين الدولية المتعلقة باللاجئين الفلسطينيين (القرار 194) وأنّ هنالك ضعفًا في فهم حقّ العودة وحقّ التعويض والارتباط فيما بينهما، فلا يزال الكثير من اللاجئين ينظرون إلى حقّ التعويض بديلا لحق العودة.

وأخيرًا كشفت بعض الدراسات عن أنّ اللاجئين الفلسطينيين متمسكون بحق العودة إلى قراهم الأصليّة. ففي هذا المجال أظهرت دراسة شاهد (2004) أنّ الجيل الرابع والخامس من اللاجئين الفلسطينيين المتواجدين في لبنان ما يزالان متمسكين بالعودة على الرّغم من عدم مشاهدتهما لبلداتهم الأصلية ويرفضون التوطين. وبينت دراسة مركز الزيتونة (2005) أن 79.6% من أفراد العينة لا يقبلون إلا العودة إلى بلداتهم الأصليّة التي أُخرجوا منها. أمّا دراسة مشرقيات (2001) فأظهرت أنّ 71.9% من المبحوثات يردنَ العودة إلى البلد الأصلي بدلاً من الدولة الفلسطينية إذا تم تخييرهن بين العودة والدولة.

5- "قدسيّة"[10] حقّ العودة

أجرى أبو ستة (1999) دراسة حول اللاجئين وحقّ العودة، وقد هدفت إلى تحليل الوثائق والسّجلات العربيّة و"الإسرائيلية" عن النّكبة المدعومة بالأرقام والخرائط، وإلى إثبات أنّ حقّ العودة مقدّس وقانوني وممكن أيضاً. واعتمد الباحث في جمعه للمعلومات على الأعمال المهمّة للمؤرخ "الإسرائيلي" بني موريس الذي قام بتوثيق نزوح (369) قرية من واقع السجلات الإسرائيلية. والمؤرّخ الفلسطينيّ وليد الخالدي الذي قام بتوثيق نزوح (418) قرية فلسطينية مهجّرة، وعلى جزء من المحاضرات والندوات التي شارك بها الباحث في العديد من الحلقات الدراسيّة والمؤتمرات المحليّة. وأجرى أبو حيط (2003) دراسة بعنوان المقدّس الفلسطينيّ- حقّ العودة أولاً، حيث هدفت إلى محاولة صياغة مشروع سياسيّ فلسطينيّ عام ينطلق من الثوابت العليا للقضيّة الفلسطينيّة دون التفريط فيها. وإلى التركيز على حقّ العودة الفلسطيني الثابت و"المقدس". واعتمد الباحث في جمعه للمعلومات على الأدبيّات والمقولات الإسرائيليّة، وعلى الاقتراحات المحليّة والعربيّة التي تناولت القضيّة الفلسطينيّة، ومشكلة اللاجئين الفلسطينيين وحقهم في العودة.

وتوصّل أبو ستة (1999) إلى أنّ حقّ العودة بجانب كونه حلا عمليًّا فإنّه "مقدس"؛ لأنّه موجود في وجدان كلّ فلسطينيّ عاش على أمله (63) عامًا، وتشرد في أنحاء الأرض وهو متمسك به، ومن أجله بدأت حركة

[10] مفهوم استخدمه سليمان أبو ستة 2001.

الفدائيين منذ الخمسينات، ومن أجله أنشئت منظمة التحرير وأنشئ المجلس الوطني الفلسطينيّ، وهو أمر قانوني لأنه مكفول في قوانين حقوق الإنسان وقرارات الأمم المتحدة، وهو ممكن على اعتبار أنّ ذلك لا يشكل خطرًا ديمغرافيًا على "إسرائيل"؛ لأنّ العديد من القرى والمدن المهجّرة ما زالت موجودة ومعروفة وموثقة جغرافيًا، وهنالك الغالبية من هذه القرى لم يسكنها أحد من اليهود. أمّا دراسة أبو حيط (2003) فقد بيّنت أنّ حق العودة من الناحية القانونية هو حقّ مقدّس وفرديّ، لا يملك شخص أو هيئة، كائنًا من كان، ولا حتى الدولة الفلسطينية أن تتنازل عنه، وإن قامت بذلك فهو يعدّ لاغيًا حتى من وجهة نظر القانون الدولي وتشريعات حقوق الإنسان.

الفصـــــل الثانـــــي

منهجيـــّة الدّراســـــة

أهداف الدراسة:

أهدف من هذه الدراسة التعرّف إلى سلسلة من الأمور التي تتعلق بمعرفة الأطفال واهتمامهم بالمكان الأصليّ الذي شرّد منه أجدادهم، وبطريقة الحياة التي عاشوها في هذا المكان، وبالمصدر الذي جرى التّعرّف إلى المكان الأصليّ منه، وبشعورهم نحو العيش في المخيم، واعتقادهم بإمكانية العودة إليه، وبمعرفتهم بقرار الأمم المتحدة (194)، وأيضًا التعرّف إلى مدى معرفة الأطفال من خارج المخيّم باسم المكان الأصليّ لعائلاتهم المهجرة، وذلك للتعرف إلى مدى إبقاء الذّكريات حيّة في ذاكرة الطفل والحنين للعودة. كما أهدف التّعرّف إلى أثر مجموعة من المتغيّرات الاجتماعيّة والاقتصاديّة إلى معرفة المكان الأصليّ والاهتمام والحنين للعودة والاعتقاد بإمكانية العودة.

فرضيّات الدراسة:

تنصّ الفرضيّات الرئيسة التي جرى فحصها في دراستي هذه على ما هو آتٍ:

1- لا توجد للأطفال معرفة عن المكان الأصلي الذي شرّد منه أجدادهم وآباؤهم (أي لا يعرف الأطفال اسم القرية التي جاء منها أجدادهم) وخاصة الأطفال الذين هم من عائلات لاجئة ولكنهم يعيشون خارج مجتمع البحث (مخيم عايدة)، ولا يعرفون موقع المكان الأصليّ في فلسطين التاريخيّة، ولا يعرفون شيئاً عن حياة الأسرة في المكان الأصليّ، ولا توجد لديهم اهتمامات بالمكان الأصليّ، ولا يرغبون بالعودة إلى المكان الأصليّ، ولا يعرفون أيّ شيء عن قرار الأمم المتحدة (194)، ولا توجد لديهم معرفة عن معنى حق العودة..... الخ.

2- توجد فروق في الاهتمام والحنين للعودة ومعرفة المكان الأصليّ والاعتقاد بإمكانية العودة بين الذكور والإناث.

3- توجد فروق في الاهتمام والحنين للعودة ومعرفة المكان الأصليّ والاعتقاد بإمكانيّة العودة بين الأطفال الذين يعيشون في المخيّم ومن خارج المخيّم.

4- فحص الطرح النّظريّ الذي قدّمه وارنر Warner (1994)، والذي ينصّ على أنّ الحنين للعودة يزداد نتيجة الأوضاع الاقتصادية السيئة للاجئين.

مفاهيم الدراسة:

- **الانتماء (أو حضور المكان في ذاكرة الطفل)** من ناحية إذا ما زال المكان الأصلي حاضراً في أذهان الأطفال أثناء تعريفهم لأنفسهم، وجرى تعريفة إجرائياً بالسؤال التالي "من أين أنت؟"

- **المعرفة بالمكان الأصلي** من ناحية الاسم، والموقع والخصائص الجغرافية والاجتماعية. وتم تعريفه إجرائياً بعدد من الأسئلة وهي: من أين أصول عائلتك (اسم المكان الأصلي)؟ وأين يقع؟ وماذا

تعرف/تعرفي عن حياة أسرتك المهجّرة عن البلد والبيت والمزارع؟ وهل شاهدت المكان الأصلي الذي جاءت منه عائلتك، وكيف كان ذلك؟ هل تمتلك أسرتك أي وثائق، صور، مفتاح البيت تشير إلى المكان الأصلي، وما هي هذه الوثائق؟

* **الاهتمام بالمكان الأصلي وبالعودة إليه،** وجرى تعريفه إجرائياً بعدد من الأسئلة هي: ما أهمية هذا المكان (القرية، البلد) لك ولعائلتك؟ وهل هناك فرق بين نظرتك أو مشاعرك لها، ومشاعر ونظرة أباك و أمك لها.

المعيشة بالمخيم، وجرى تعريفه إجرائيًا بـــ ما هو شعورك نحو المعيشة بالمخيم والحياة به الآن وهل تتخيل/ ين حياة مختلفة لو بقيت عائلتك بدون تهجير؟

الاهتمامات بالعودة، وجرى تعريفة إجرائيًا كالتالي: هل لديك اهتمامات وحنين بالعودة إلى هذا المكان الأصلي؟ وهل لدى أسرتك اهتمامات نحو العودة إلى المكان الأصلي الذين هجّروا منه، وكيف يعبروا عن اهتماماتهم بالعودة؟ صف ذلك.

* **المعرفة بحق العودة،** وجرى تعريفه إجرائيًا بعدد من الأسئلة هي: هل تعتقد أن هناك إمكانية للعودة، وكيف سيتم تحقيق ذلك؟ وهل سمعت بالقرار (194) وماذا تعرف عنه؟ وماذا يعني لك حق العودة؟ (شو بيعنيلك حق العودة).

* **مصدر المعرفة بالمكان الأصلي وحق العودة،** وتم تعريفه إجرائيا بـــ مَن أخبرك عن المكان الأصلي وحق العودة؟

التعريفات النّظريّة:

الاتجاه، المعرفة

تناول العديد من الباحثين الاتجاه بتعريفات مختلفة يمكن إيراد بعضها ممّا له علاقة بالدّراسة الحاليـــة والتي تسهم في توضيح طبيعة الاتجاه.

يرى جوردن مارشال (2000، 79) في قاموس علم الاجتماع، أنّ الاتجاه –في معناه الفضفاض هو توجّه نحو شخص،أو موقف،أو نظام،أو عمليّة اجتماعيّة،أو موضوع ما. بينما كان تعريف دينكن ميشيل (1986: 12) في معجم علم الاجتماع أكثر تفصيلاً حينما بيّن أنّه "نزعة يتعلمها الفرد في بيئته الاجتماعية وتهدف إلى تقييم الأشياء بطريقة متميزة ومتماسكة وبعيدة كلّ البعد عن التّضاد والتّنافر".

ويعرف العديد من الباحثين الاتجاه بأنّه عبارة عن ميل عام نحو موضوع ما يرتبط بمعلومات الفرد وخبراته ومعتقداته السابقة، واستعداداته نحو الموضوع (الزعبي، 1994: 174؛ خليفة، 1990: 231؛ منصور: 2003: 124). ويتّضح من التّعريفات السابقة، أنّ الفرد يكوّن اتجاهاته نحو موضوع معين نتيجة للتراكم المعرفيّ، والمتمثل بالخبرات والمعلومات والمواقف، التي اكتسبها من الواقع الاجتماعي الذي يعيش فيه.

التعريف النّظري للمعرفة:

يعرّف قاموس أوكسفورد الإنكليزيّ المعرفة: بأنّها مجموع ما هو معروف في مجال معين؛ الفهم النّظري أو العملي لموضوع ما؛ الحقائق والمعلومات، الوعي أو الخبرة التي اكتسبها الفرد من الواقع. ويشير مصطلح المعرفة إلى الوعي وفهم الحقائق أو اكتساب المعلومة من خلال الإطلاع على تجارب الآخرين وقراءة استنتاجاتهم (Oxford dictionaries,2010). المعرفة أي ما نملكه من معلومات عن الأشياء (البحث العلمي والإعلام والاتصال، 2009). فنحن نستخدم كلمة المعرفة لتعني بأننا نمتلك بعض المعلومات وبذلك نكون قادرين على التعبير عنها. ويضيف عالم الاجتماع الفرد شوتز (ب، ت) أنه في تفكيرنا العاقل نأخذ في الحسبان حقيقة أنّ مخزون المعرفة يختلف من شخص لآخر، ويمتلك الفرد المعرفة من خلال التفاعل الاجتماعي مع الوالدين، والمعلمين، والأنداد (منتدى الانثروبولوجيين والاجتماعيين العرب، 2010). وفي هذه الدراسة أحاول قياس معرفة الطفل بأمور مختلفة تتعلق بالمكان الأصلي الذي هجّر منه أفراد عائلته.

أداة قياس المفاهيم:

بعد الإطلاع على الدراسات والأدبيات السابقة ذات الصّلة بموضوع الدّراسة الحالية، وأخذ رأي المشرفة العلمية على هذه الرسالة وإرشاداتها، والتي استخلصت وطوّرت منها ما يفيد في بناء أداة الدراسة (الاستبانة) وقد تضمّنت قسمين: القسم الأول عبارة عن أسئلة مغلقة تعبر عن الخلفية الاجتماعية للأطفال وعائلاتهم، بينما احتوى القسم الثاني على اثني عشر سؤالاً مفتوحاً؛ تعكس " اتجاهات الأطفال ومعارفهم في مخيّمات محافظة بيت لحم نحو مكان السّكن الأصليّ لعائلاتهم المهجّرة ونحو العودة إليه. وقد تكونت أداة القياس من أربعة أبعاد / محاور هي:

1- معرفة الفرد وانتمائه إلى المكان الأصليّ وتفاصيل الحياة السابقة.

2- أهميّة المكان الأصليّ للفرد وأسرته واهتمامه واهتمام أسرته للعودة، وشعوره نحو العيش في المخيم وتخيله للحياة لو بقيت العائلة في المكان الأصليّ.

3- معرفته بمعنى حقّ العودة وقرارات حقّ العودة الدوليّة، واعتقاده بإمكانية وكيفية تحقيق العودة.
4- جهات/ مصدر التوعية بحق العودة والمكان الأصليّ.

في الاستمارة المحور الأول يقاس بأسئلة 1 و 2 و3 و 4 و 5. والمحور الثاني يقاس بأسئلة 6 و 7 و 8. والمحور الثالث يقاس بأسئلة 9 و 10 و 11. والمحور الرابع يقاس بأسئلة 12 و 13. (انظر الاستمارة في نهاية البحث).

بعد جمع بيانات الدّراسة راجعت إجابات المبحوثين وأقوالهم الكيفية، ومن ثم تلخيصها بفئات مكمّمة وترميزها بأرقام من أجل إدخالها للحاسوب، وقد استعنت ببرنامج الرزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية (spss)؛ من أجل إجراء المعالجة الإحصائية اللازمة للبيانات، باستخراج الأعداد، والنسب المئوية. ومن أجل التّحقق من أهداف الدّراسة استخداما الأساليب الإحصائية التي تتناسب مع طبيعة هذه الدراسة، وهي:
1- الأعداد والنسب المئويّة. 2- جدول التّقاطع crosstabs ومربع كاي (chi-square).

تلخيص محاور الدراسة الرئيسة (البيانات الكيفيّة):

بعد إجراء المقابلات لخص الباحث الإجابات بفئات مكمّمة ورمّزها بأرقام؛ من أجل الاستعانة ببرنامج إحصائيّ للوصول إلى تلخيصها بوساطة التكرارات والنسب المئوية على النحو الآتي:

1. أيّ مكان ذكر أولا ؟ : 1- مكان السكن الحالي. 2- المكان الأصلي.
2. معرفته/ ها باسم المكان الأصلي: 0- لا. 1- نعم.
   ما اسم المكان الأصلي التي هجّرت منها عائلتك؟ .....
3. معرفته/ها بموقع المكان الأصليّ: 0- لا . 1- نعم.
4. معرفته/ها عن حياة أسرته المهجّرة: 0- لا يعرف. 1- يعرف كثيراً. 2- يعرف نوعاً ما.
5. هل شاهدت المكان الأصليّ الذي هجّرت منه عائلتك وكيف كان ذلك؟: 1- زيارة فعلية. 2- صورة تذكارية. 3- صورة نت. 4- وسائل الإعلام / التلفاز. 5- مرور بالمنطقة. 6- لم يشاهدها.
6. معرفته/ها بامتلاك الأسرة أشياء تشير للمكان الأصلي: 1- لا. 2- مفتاح. 3- طابوا الأرض. 4- أدوات. 5- صورة تذكارية قديمة.
7. أهميّة المكان الأصليّ: 0- ليس له أهمية. 1- لا يعرف أهميته لأهله. 2- أهميته لأهله أكثر منه. 3- مهمة لأنها المكان الأصلي. 4- نفس الأهمية. 5- أكثر من أهله.
8. شعوره/ها نحو الحياة في المخيم الآن: 1- متأقلم. 2- ناقد للواقع المعيشي/ الضيق (التصاق البيوت ببعضها). 3- ناقد للعلاقات الاجتماعية. 4- مُجبر على السكن فيه. 5- مكان مؤقت (غير دائم). 6- يعتقد بأن الحياة أفضل في المكان الأصلي. 7- يعتقد بأن التهجير قدم فرص تعليم فضلى.

9. تصوره/ها (تخيلاتهم) عن الفرق ما بين السكن الحالي والأصلي لو بقيت عائلاتهم دون تهجير: 1- حياة مريحة اجتماعيًا ونفسيًّا في المكان الأصلي. 2- الحياة في المكان الأصلي أفضل لأن فيه أراضي زراعية إشارة إلى عدم الخروج للعمل بأجر. 3- الوضع الاقتصادي أفضل في المكان الأصلي. 4- الحياة في المكان الأصلي فيها حرية التنقل ومنطقة سكن أوسع. 5- في المكان الأصلي الحياة أفضل لأنه لم يكن لتتشتت الحمولة وأهل البلد. 6- نفس الشيء/ السكن في المكان الحالي والأصلي. 7- حياة المخيم أفضل لأنه نشأ وترعرع فيه.

10. اهتماماته/ ها بالعودة للمكان الأصلي. 0- غير مهتم/ة. 1- قليل الاهتمام بالعودة إلى المكان الأصلي. 2- مهتم/ة.

11. اهتمامات الأهل بالعودة للمكان الأصلي. 0- لا توجد لديهم اهتمامات بالعودة. 1- لديهم اهتمامات بالعودة. 2- لا يعرف ما هي اهتمامات أهله بالعودة للمكان الأصلي.

12 . اعتقاده بإمكانية العودة للمكان الأصلي. 0- لا. 1- غير متأكد. 2- نعم.

أ- رأيه بكيفية تحقيق العودة: 1- استخدام القوة/ تحرير فلسطين بالمقاومة. 2- ما ضاع حق وراءه مطالب (المطالبة بالعودة). 3- التمسك بالعودة والصمود بأرض فلسطين. 4- توحّد الفصائل الفلسطينية. 5- اعتقاد ديني /عندما تقوم الساعة / لما تكون نهاية العالم.

ب- لماذا لا توجد إمكانية للعودة. 1 – تغير معالم المكان الأصلي/ وجود سكان يهود. 2-عدم سماح إسرائيل للاجئين بالعودة لأماكنهم الأصلية. 3- بناء الجدار الفاصل. 4- عدم الثقة بالقيادة الفلسطينية الحالية. 5-عدم الثقة بالفصائل الفلسطينية الحالية. 6- الوضع والجو السياسي الحالي. 7- القوة العسكرية للإسرائيليين.

13. سماعه بالقرار (194): 0- لا. 1- نعم.

14. المعرفة بالقرار (194): 0- لا يعرف. 1- يعرف بالقرار ولكن بشكل سطحي جداً. 2- قليل المعرفة بالقرار. 3- يعرف كثيراً بالقرار.

15. تعريفه لحق العودة: 1- حق اللاجئين في الداخل والخارج بالعودة إلى البلد الأصلي. 2- الرجوع إلى البلد الأصلي مع التعويض عن الخسائر. 3- الرجوع إلى المكان الأصلي. 4- حق مقدس وديني. 5- العودة إلى فلسطين التاريخية. 6- حقّ لكل إنسان فلسطيني هجّر من أرضه. 7- شعار غير حقيقي (حقّ العودة).

16. من عرّفه/ها بحياة الأسرة في المكان الأصلي: 1- الأب. 2- الأم. 3- جدّ(الأب). 4- جدّ (الأمّ). 5- الجدّة (الأب). 6- الجدّة (الأم). 7- الإخوة. 8- أحد من الأقارب. 9- أهل المخيم 10- وسائل الإعلام.

17. الجهة التي سمع منها عن حقّ اللاجئين بالعودة. 1- الأهل (الأب والأم والإخوة والجد والجدة). 2- الأقارب. 3- المدرسة. 4- وسائل الإعلام. 5- أهل المخيم. 6- أكثر من جهة.

قياس المتغيرات المستقلة:

1. الجنس وجرى قياسه بـــ : 1- ذكر 2- أنثى.
2. العمر وجرى قياسه بـــسؤال مفتوح يسال الطفل كم عمرك .....؟
3. مكان السكن وجرى قياسه بـــ أين تسكن: 1- المخيّم 2- خارج المخيم
4. المرحلة التعليمية للمبحوث وجرى قياسه بـــ ما هي مرحلتك التعليمية؟
   1- إعداديّ. 2- ثانويّ. 3- جامعيّ. 4- غير ملتحق بالمدرسة.
5. المستوى التعليمي للأب و الأم وقيس بـــ:
   1- أُمّيّ. 2- مُلم يقرأ ويكتب. 3- ابتدائيّ. 4- إعداديّ. 5- ثانويّ. 6- دبلوم.
   7- جامعي. 8- ماجستير. 9- دكتوراه.
6. عمل الأب وجرى قياسه بـــ ما هو عمل والدك:
   1- عامل. 2- عاطل عن العمل. 3- موظف حكوميّ. 4- موظف قطاع خاص.
   5 – تاجر. 6- مزارع. 7- غير ذلك حدد.....
7. عمل الأم وجرى قياسه بـــ ما هو عمل والدتك:
   1- ربّة منزل. 2- موظفة. 3- عاملة.
8. عمر الأب والأم وجرى قياسه ب: ما هو عمر والدك ووالدتك ؟ :
   1) 35 – 44 سنة. 2) 45 – 54 سنة. 3) 55 – 64 سنة. 4) 65 سنة فما فوق.
9. عدد الإخوة والأخوات في الأسرة: وجرى قياسه بسؤال مفتوح يسال الطفل كم عدد أفراد أسرتك.....؟
10. الوضع السكني للأسرة وقيس بـــ: كيف تقيم وضع منزلكم؟
    1- ممتاز. 2- جيد. 3- متوسط. 4- رديء.
11. الوضع الاقتصادي للأسرة، وجرى قياسه بـــ كيف تقيم وضعكم الاقتصادي؟
    1-ممتاز. 2- جيد. 3- متوسط. 4- رديء
12. التّوجهات الاجتماعيّة للأسرة (ماذا تعتبر أسرتك) وجرى قياسها بـــ ما هي توجهات أسرتك الاجتماعيّة؟
    1- محافظة. 2- متحررة/ ليبرالية. 3- تقدمية يسارية. 4- إسلامية.
13. التأييد الحزبي (أي من الأحزاب والحركات السياسية تؤيد): وجرى قياسه بـــ ما هو تأييدك الحزبيّ/ السياسيّ؟ 1- فتح. 2- حماس. 3- جبهة ديمقراطية. 4- حزب الشعب. 5-جبهة شعبية.
    6 – الجهاد الإسلامي. 7- مستقل. 8- آخر، اذكره.....

14. هل تعرض أحد أفراد أسرتك للاعتقال؟، أو الاستشهاد؟، أو الإصابة من قبل الاحتلال الإسـرائيلي؟ وجرى قياسه بـ 0- لا. 1- نعم.

15. من تعرض من أفراد أسرتك للأذى من قبل الاحتلال الإسرائيلي ؟ وجرى قياسه بـسؤال مفتـوح يسأل الطفل عن أفراد الأسرة الذين تعرضوا للأذى من الاحتلال الإسرائيلي.....؟

16. ما هو نوع الأذى الذي تعرّض له ؟ وجرى قياسه بـسؤال مفتوح يسأل الطفل عن نوع الأذى الذي تعرض له أفراد أسرته من قبل الاحتلال الإسرائيلي .....؟

مجتمع البحث والعيّنة:

يتكوّن مجتمع البحث من أطفال ينتمون لعائلات اللاجئين الفلسطينيين الذين يقيمون في مخيم عايدة[1]، وممن يقيمون خارج المخيم (مدينة بيت لحم وضواحيها). وجرى اختيار عينة غير عشوائية مكوّنة من (50) طفلاً من الذكور والإناث ممن بلغت أعمارهم من (14 – 20) سنة. وقد جمعت البيانات في الفترة الممتدة من تاريخ 3-2-2009 ولغاية 10-3-2009. وأردت أن تتوزع هذه العينة غير العشوائية على أكبر قدر من التنوع من حيث المكان الأصلي الذي تم تهجير عائلاتهم منه.

لقد وقع اختيار الفئة العمرية لغاية (20) عاماً، وذلك بالاعتماد على تقسيمات العلماء في مجال الطفولة، والذين قسموا مرحلة الطفولة إلى ثلاث مراحل أساسيّة، هي:

1- فترة الطفولة المبكرة، وتمتد من لحظة الولاة وحتى عمر ست سنوات.

2- فترة الطفولة الوسطى، وتمتد من سن ست سنوات حتى سن الثامنة عشرة.

3- فترة الطفولة المتأخرة، وتنتهي بسن الثامنة عشرة من العمر أو العشرين (مركز البحوث والدراسات المستقبلية، 2006).

كما وقع الاعتماد أيضاً على تفسيرات علماء الاجتماع في تصنيفهم لمراحل الطفولة، ويوجد ثلاثة اتجاهات رئيسة جرى تفسيرها تبعاً لاختلاف وجهات النظر، فالاتجاه الأول يرى أنّ مفهوم الطفل يتحدّد بسن معينة تبدأ من الميلاد حتى سن الثامنة عشرة من عمره. والاتجاه الثاني يرى أنّ فترة الطفولة هي المرحلة الأولى من مراحل تكوين الشخصية ونموها وتبدأ من الميلاد حتى بداية طور البلوغ. أما الاتجاه الثالث فيقول: إنّ الطفولة هي فترة الحياة التي تبدأ من الميلاد حتى الرشد وهي تختلف من ثقافة لأخرى فقد تنتهي الطفولة عند البلوغ أو عند الزواج أو يصطلح على سن محدد لها (التتر، 2004: 20).

ولا بدّ من التنويه إلى أنّ أغلب المقابلات جرت في مدارس محافظة بيت لحم والتي يوجد فيها أطفال من مخيم عايدة، وبعضهم من خارجه، والمدارس هي: مدرسة بنات بيت لحم الثانوية "حكومية"، ومدرسة ذكور

[1] لمزيد من التفاصيل عن مخيم عايدة للاجئين الفلسطينيين، انظر: http://alrowwad.virtualactivism.net/arabic/about2.htm

بيت لحم الثانوية "حكومية"، ومدرسة إسكندر الخوري "حكومية"، ومدرسة بنات التشيلي الثانوية "حكومية"، ومدرسة الراعي الصّالح السّويديّة "خاصّة"، ومدرسة الفرير الثانوية "خاصة". وقد أجريت المقابلات في هذه المدارس (في مكتب مستقل)، وذلك لضمان راحة الأطفال، وليتسنى لهم التعبير عن توجّهاتهم نحو الموضوع المطروح بكل موضوعية ودون تدخّلات تؤثر على مجرى المقابلات، وقد قمت بنفسي بتعبئة إجابات المبحوثين وتسجيلها حرفياً، كما وردت على ألسنتهم.

خصائص العيّنة السّكانيّة (الديمغرافيّة) (المتغيرات المستقلة).

أجريت هذه الدراسة كما ذكرت سابقاً على مجموعة مكوّنة من خمسين طفلاً (من الذكور والإناث) لعائلات مهجرة، بعضها يقيم في مخيم عايدة، وبعضها الآخر يقيم خارج المخيم من عمر(14 –20)عاماً.

المتغيّرات المستقلة		العدد	النسبة المئوية
الجنس	1- ذكور.	26	52.0
	2- إناث.	24	48.0
العمر	1. 14 سنة – 17 سنة.	36	72.0
	2. 18 سنة – 20 سنة.	14	28.0
مكان السكن	1– المخيم.	38	76.0
	2– خارج المخيم	12	24.0
المستوى التعليمي للمبحوث	1. غير ملتحق بالمدرسة.	2	4.0
	1. إعداديّ.	9	18.0
	2. ثانويّ.	30	60.0
	3. جامعيّ.	9	18.0
المستوى التعليمي للأب	1- ملم يقرأ ويكتب.	4	8.0
	2- ابتدائيّ.	2	4.0
	3– إعداديّ.	9	18.0
	4– ثانويّ.	17	34.0
	5– دبلوم	4	8.0
	6- جامعيّ فما فوق.	18	36.0
المستوى التعليمي للام	1. ملمة تقرأ وتكتب	3	6.0
	2. ابتدائيّ.	1	2.0
	3. إعداديّ.	12	24.0
	4. ثانويّ.	17	34.0
	5. دبلوم.	4	8.0
	6. جامعية فما فوق	13	26.0
عمل الأب	1- عامل.	12	24.0
	2- عاطل عن العمل.	4	8.0

	3- موظف	13	26.0
	4- تاجر.	10	20.0
	5- يعمل لحسابه الخاص.	6	12.0
عمل الأم	1- ربّة منزل.	39	78.0
	2- موظفة.	10	20.0
	3- تاجرة.	1	2.0
عمر الأب	1- من 35 سنة – 44 سنة.	16	32.0
	2- من 45 سنة – 54 سنة.	27	54.0
	3- من 55 سنة – 64 سنة	6	12.0
	4- أكبر من 65 سنة.	1	2.0
عمر الأم	1- من 35 سنة – 44 سنة.	37	74.0
	2- من 45 سنة – 54 سنة.	12	24.0
	3- من 55 سنة – 64 سنة.	1	2.0
عدد الإخوة والأخوات في المنزل	1- من 2 – 5 إخوة.	24	48.0
	2- من 6 – 9 إخوة.	23	46.0
	3- أكثر من 10 إخوة.	3	6.0
الوضع السكني للأسرة.	1- ممتاز.	4	8.0
	2- جيد.	33	66.0
	3- متوسط.	11	22.0
	4- رديء (سيء).	2	4.0
الوضع الاقتصادي للأسرة.	1- ممتاز.	2	4.0
	2- جيد.	10	20.0
	3- متوسط.	4	8.0
	4- رديء (متدني).	34	68.0
التوجهات الاجتماعية للأسرة	1- محافظة.	37	74.0
	2- متحررة ليبرالية.	9	18.0
	3- تقدمية يسارية.	3	8.0
	4- إسلامية.	1	2.0
التأييد الحزبي (السياسي)	1- فتح.	15	30.0
	2- حماس.	7	14.0
	3- الجبهة الشعبية.	4	8.0
	4- مستقل.	24	48.0
مستوى تدين الأسرة.	1- غير متدينة بالمرة.	2	4.0
	2- متدينة نوعا ما.	12	24.0
	3- متدينة.	36	72.0
هل تعرض أحد أفراد أسرتك للاعتقال، الاستشهاد، الإصابة	0- لا	26	52.0
	1- نعم	24	48.0

تشير نتائج الدراسة، كما هو مبين في الجدول أعلاه إلى أنّ 52% من أفراد العيّنة ذكور، فيما شكلت الإناث 48% منهم. وتراوحت أعمارهم من سنّ 14 سنة ولغاية سنّ 20 سنة، و 72% (الغالبية) من أفراد العيّنة هم من الفئة العمرية بين سنّ 14 سنة إلى سنّ 17 سنة، و28% منهم تتراوح أعمارهم من سنّ 18 سنة ولغاية 20 سنة. وأوضحت النّتائج أنّ 60% من المبحوثين هم طلاب في المرحلة الثانوية، و 18% من طلاب المرحلة الإعدادية. و18% من طلبة الجامعة.

أمّا فيما يتعلق بأعمار الآباء والأمهات المبحوثين، فتظهر النتائج أنّ 56% من آباء المبحوثين تراوحت أعمارهم بين 45 سنة و 54 سنة، وتراوحت أعمار 32% منهم بين 35 سنة إلى 44 سنة. في حين تراوحت أعمار 74% من أمهات المبحوثين بين 35 سنة و 44 سنة، وتراوحت أعمار 24% من الأمهات بين 45 سنة و 54 سنة. أي أنّ الغالبية العظمى من الآباء والأمهات يمثلون الجيل الثاني من عمر النكبة. وأظهرت النتائج أنّ 48% من المبحوثين لديهم من أخوين إلى خمسة إخوة في الأسرة ، وأنّ 46% منهم لديهم من ستة إلى تسعة إخوة في الأسرة. وبالنسبة إلى الفلسطينيين لا يحمل إنجاب الكثير من الأطفال أهمية ثقافيّة واجتماعيّة فحسب، بل يحمل أيضًا معنىً سياسيًا، إذ يُنظر إليه كردّ فعل على المعركة الديمغرافية مع الكيان الصهيوني (شطي، هونت، 2009: 112).

أمّا بالنسبة للتّوجهات الاجتماعيّة للأسرة، فتشير النتائج إلى أنّ 74% من الأسر محافظة وأنّ 18% منها متحررة/ ليبرالية وأنّ 8% من الأسر تقدميّة يساريّة. أمّا على صعيد الانتماء/ التأييد الحزبي، فوجدت الدّراسة أنّ 48% من المبحوثين لا ينتمون لأيّ فصيل سياسيّ (مستقلون)، وأنّ 30% منهم يؤيدون حركة فتح، وأنّ 18% يؤيدون حركة حماس، وأنّ 8% يؤيدون الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

وعلى صعيد مستوى تديّن الأسرة، أظهرت النتائج، أنّ 62% من المبحوثين يرون أنّ أسرهم متديّنة، و24% منهم أجابوا بأنّ أسرهم متديّنة نوعاً ما، غير أنّ ما يقارب 4% من الأسر كانت غير متديّنة بالمرة. أمّا بالنسبة لسؤال "هل تعرض أحد أفراد أسرتك للاعتقال،أو الاستشهاد،أو الإصابة" فتبين نتائج الدراسة أنّ 52% من المبحوثين أجابوا بـــ "لا" بينما 48% أجابوا بـــ " نعم".

منهج الدراسة وأسلوب جمع البيانات:

استخدمت الدّراسة الحاليّة منهج المسح بمستواه الكيفيّ لجمع البيانات؛ وذلك بوساطة أسلوب المساءلة بمقابلات أجريت وجهاً لوجه واشتملت على أسئلة مفتوحة وأسئلة مغلقة. إذ تعدّ المقابلة من أنسب أساليب جمع البيانات من المجتمعات الأميّة أو من الأطفال (أدوات البحث العلمي، 2008).

الفصل الثالث

نتائج الدراسة

تحليل المقابلات ومناقشة نتائج الدراسة:

في هذا الجزء من الدّراسة أجري تحليلاً ومناقشة لنتائج الدّراسة بناءً على المحاور أو الأبعاد الرئيسة لها

معرفة الفرد وانتمائه للمكان الأصلي وتفاصيل الحياة السابقة:

1- الانتماء للمكان (أو حضور المكان في ذاكرة الطفل):

وجّهت السؤال للأطفال "مِن أين أنت؟" وذلك حتى أتعرف إلى مدى حضور المكان الأصلي في هوية الفرد المكانية، أي مدى انتماء الأفراد للمكان الأصلي. بمعنى أدق، أريد معرفة إذا ما زال المكان الأصلي حاضراً في أذهان الأطفال أثناء تعريفهم لأنفسهم عندما يُسأل الطفل "من أين أنت؟" والذي من المنطق أن يجيب بأنّه من المنطقة أو المخيّم الذي يسكن فيه حالياً وليس من المنطقة التي هجّر منها أهله. ولكن وجدنا مَن يجيب عن هذا السؤال بأنّه من المنطقة التي هجّر منها أهله. فهذا دليل قويّ على مدى انتمائهم وتمسّكهم بالمكان الأصلي لعائلاتهم المهجّرة.

كان مفاجئًا لي أن أجد نسبة لا باس بها من الأطفال يعرّفون عن أنفسهم بأنّهم من المكان الذي هجّر منه أهلهم عند سؤالهم " من أين أنت؟"؛ وذلك لأنّه من الطبيعي لمثل هذا السؤال أن يحصل على إجابة عن مكان السكن الحالي. فوجود 42% من الأطفال الذين أجابوا عن أنّهم من المكان الأصليّ الذي هجّرت منه عائلاتهم بحدّ ذاته مؤشر واضح لتمسّك الأطفال بمكان أهاليهم الأصليّ الذي هجّروا منه. وهذه نسبة ليست بالقليلة خصوصًا بين هذه الفئة العمريّة والتي تشكل الجيل الثالث والرابع بعد نكبة التّهجير في عام 1948. وبعض الاقتباسات من هؤلاء الأطفال ممكن أنّ تقدم لنا الشعور الحيّ عند الأطفال الذين ذكروا المكان الأصلي أولاً والذين ذكروا المخيم أولاً:

فتقول (ح) وهي طفلة في الخامسة عشرة من العمر، وأصلها من قرية دير أبان وقد ذكرت المكان الأصليّ أولا بإجابتها " بانو راح تفكيري لزمان يوم ما سألتني أنت من وين ، يعني قريتنا اللي تهجرنا منها، أنا عيلتي وسيادي اجو من دير أبان اللي إنا ما عشتش فيها، بس أنا هلكيت ساكنة بالمخيم وبعرف دايماً عن نفسي إني ديرابانية (نسبة إلى قرية دير أبان) لأنو أبوي دايماً بعرف عن حالو قدام الناس انو من دير أبان وأنا بعرف عن نفسي، زي أبوي ما بيعرف عن نفسو".

وتشير (ح، ج) وهي في السابعة عشرة من العمر، وأصلها من قرية المالحة " أنا دايماً بعرف عن نفسي أني من قرية المالحة، لانوا إحنا معروفين بالمخيم وبيقولولنا موالح (قرية المالحة)، وأبوي وأهلي دايما بيحكو أنو إحنا من المالحة، عشان هيك قلتلك بلدنا الأصلي مش المخيم، بس لو سألتني إنتي وين ساكنة بقلك مخيم عايدة واترحلنا من المالحة".

ويشير عبد الفتاح القلقيلي (2004: 84) إلى أنه قبل عام 1948، اعتاد الفلاح الفلسطيني أن يعرّف عن نفسه باسمه واسم أبيه وربما جده، ولكن لا يتعدى ذلك اسم العائلة أو العشيرة، وإذا كان خارج قريته يبادر مباشرة بعد هذا التعريف ليذكر اسم قريته. أي أنّ القرية هي الدائرة الأولى لانتماء الفلاح الفلسطيني وارتباطه فيها، وهي المحدّد الهام لهويته. [1]

بالإضافة إلى ذلك، فمن الجدير بالذكر أنّ الذين أجابوا عن أنّهم من مكان السكن الحالي وهو المخيم حينما عرفوا عن مغزى السؤال المبطن– حاولوا بجدية تسويغ إجابتهم كالآتي:

فيقول (م. ق) في التاسعة عشرة من العمر وأصله من قرية المالحة " بأنّني قمت بذكر أنّي من مخيم عايدة لأنّي ساكن في المخيم وعشت وتربّيت فيه، كمان بس آجى على بالي بلدي الأصلي المالحة اللي إحنا أصلنا من هناك، وبهيك أنا عرفت عن نفسي حسب ما أنا ساكن ، لكن إذا حدا قلي أنت من وين أصلك، بقلوا مالحي (نسبة إلى قرية المالحة)". ويذكر (أ،خ) وهو طفل في الرابعة عشر من العمر، من قرية عجور " أنا يوم ما سألتني قلتلك من مخيم عايدة لأني أفهمت منك (أنت من وين) يعني وين ساكن، بس أنا عيلتي وستي أصلنا من عجور".

من الواضح أنّ خطاب الأطفال الذين عرفوا من أين هم في المخيّم أو في مكان السكن الحالي ينطوي على نوع من الأسى، وحاولوا جاهدين أن يظهروا لي أنّهم لم ينسوا من أين هم في الأصل، ولكنّ طبيعة السؤال –والذي كان مقصوداً من الباحث– وطبيعة فهمهم للسؤال الذي وجّه إليهم يحتّمان هذه الإجابة، وعندما عرفوا القصد من السؤال وضحوا لماذا كانت إجاباتهم بهذا الشكل. ويتضح من إجابات الأطفال المبحوثين عن هذا السؤال؛ عن المكان الأصليّ لانتمائهم الوجودي "أنّ أهم عوامل الهويّة والانتماء هي أن يشعر الإنسان باستمراريته وارتباطه بالزمان والمكان، إذ إن استمراريته وارتباطه يحتاجان إلى تأكيد وإثبات من المحيط الذي يعيش فيه الفرد" (عبد الغني،2005: 98)

وما برز من هذه الإجابات أيضاً، أنّ المخيّم كمكان يعاد فيه إنتاج الانتماءات والذكريات نحو المكان الأصليّ "المكان المتخيل"[2] الذي لم يعيشوا فيه ولكنّهم يذكرونه دوماً، ويحنون إليه ويأملون بالعودة إليه. فالعائلة تذكرهم دائماً بأنّهم أتوا من دير أبان، والمالحة، وعجّور وراس أبو عمار.

---

[1] الهوية باختصار، هي تعريف الشخص لنفسه إذا ُسئل من أنت. وما يعنينا هنا هو أحد أنواع الهوية ألا وهي الهوية الجماعية (collective Identity). والهوية الجماعية تعني :تعريف الشخص لنفسه من خلال الجماعة، أو الجماعات التي ينتمي إليها (ميعاري، 2004: 59). في حين، يفترض كلود دوبار (2009: 39) أشكالا للهوية الجماعتية (حسب المصطلح الألماني الذي عرفه ماكس فيبر)، حيث إن الشكل الجماعاتي للهوية يعني وجود تجمعات تسمى "جماعات" تعتبر أنظمة مكانية، وأسماء محددة مسبقاً للأفراد، وتعيد إنتاج الهوية عبر الأجيال.

[2] تم استخدام مفهوم المكان المتخيل؛ وذلك لارتباطه بالذكريات التي يحملها غالبية اللاجئين عن قراهم ومدنهم الأصلية، فهم لم يعيشوا تجربه اللجوء، وحاولوا بناء الوطن الأم وذكرياته وماضية في الذاكرة والمخيال، والذي هو في حاله التهجير القسري يصبح "ممارسة اجتماعية"، ويعبر عن جماعة اقتلعت من أماكنها الأصلية فأصبحت تجتمع حول تلك الأوطان في الذاكرة والمخيال بحسب ما أشار إلية أندرسون (1983).

ويرى القلقيلي (2003: 83). أن القرية الأصلية وصورتها تتضح في ذاكرة اللاجئ الفلسطيني، وقد تكون هي المكوّن الأهم في تشكيل هويته داخل المخيّم، فرغم مرور سنوات طويلة على تهجير الفلسطينيين من قراهم ومدنهم، فإنهم ما زالوا يتأطرون ويعرّفون أنفسهم حسب تلك القرى والبلدات الأصلية. إذن، يحاول الجيل الثالث والجيل الرابع الرجوع إلى الجذور(الهوية الأصلية). وتؤكد نورما مصرية (1997: 73) بأن تجمع اللاجئين الفلسطينيين في المخيم قد حافظ على أن تبقى أرضهم ووطنهم والإرث الفلسطيني حيًّا في ذاكرتهم. فالذاكرة بقيت الموئل الوحيد للاجئين خلال تشريدهم وحياتهم بالمخيم. "فالمخيم ينظر إليه على أنه الوحدة الأساسية في الحفاظ على الهوية الفلسطينية في البلدان العربية المستضيفة وفي المناطق الفلسطينية" (Hanafi, 2008: 6).

جدول (1)

الرقم	المتغيرات		العدد	النسبة المئوية
1-	الانتماء للمكان الأصلي (أو حضوره في ذاكرة الطفل).	1- مكان السكن الحالي.	29	58.0
		2- المكان الأصلي.	21	42.0
2-	المعرفة باسم المكان الأصلي.	1- نعم.	50	100
		0- لا.	0	0
3-	المعرفة بموقع المكان الأصلي.	1- نعم.	36	72.0
		0- لا.	14	28.0
4-	معرفته عن حياة الأسرة في المكان الأصلي	1- يعرف كثيراً.	20	40.0
		2- يعرف نوعاً ما .	23	46.0
		0- لا يعرف.	7	14.0
5-	مشاهدة المكان الأصلي أو كيف تعرف على صورة المكان الأصلي	1-زيارة فعلية.	11	22.0
		2-صورة تذكارية.	10	20.0
		3-صورة على الانترنت.	5	10.0
		4-وسائل الإعلام / التلفاز.	5	10.0
		5-مرور بالمنطقة.	4	8.0
		6-لم يشاهدها.	15	30.0
6-	ملكية الأسرة لأشياء تشير للمكان الأصلي	1- لا.	20	40.0
		2- مفتاح.	15	30.0
		3- طابو الأرض.	10	20.0
		4- أدوات.	3	6.0
		5- صورة تذكارية قديمة.	2	4.0
7-	أهمية المكان الأصلي.	1-نفس الأهمية.	20	40.0
		2-أهميتها لأهله أكثر منه.	15	30.0
		3-مهم لأنها المكان الأصلي.	11	22.0
		4-ليس لها أهمية له.	2	4.0
		5-أهميته له أكثر من أهميته لأهله.	1	2.0
		6-لا يعرف أهميتها لأهله.	1	2.0
8-	شعوره نحو العيش في المخيم الآن.	1- متأقلم.	11	22.0
		2-ناقد للواقع المعيشي/ الضيق(التصاق البيوت من بعضها).	10	20.0
		3-يعتقد أن الحياة أفضل في المكان الأصلي.	7	14.0
		4-ناقد للعلاقات الاجتماعية.	4	8.0

		5-مجبر على السكن به.	3	6.0
		6-يعتقد أن التهجير قدم فرص تعليم أفضل.	2	4.0
		7-مكان مؤقت (غير دائم).	1	2.0
		8-لم يجيبوا على السؤال (الأطفال من خارج المخيم)	12	24
9-	هل تتخيل/ تتخيلين حياة مختلفة لو بقيت عائلتك بدون تهجير.	1-الوضع الاقتصادي أفضل في المكان الأصلي.	10	20.0
		2-حياة مريحة اجتماعياً ونفسيا في المكان الأصلي.	8	16.0
		3-الحياة بالمكان الأصلي فيها حرية التنقل ومنطقة سكن أوسع.	7	14.0
		4- الحياة بالمكان الأصلي أفضل لأنه توجد أراضي زراعية.	6	12.0
		5-في المكان الأصلي الحياة أفضل لأنه لم يكن لتتشتت الحمولة وأهل البلد.	4	8.0
		6-حياة المخيم أفضل لأنه نشأ وترعرع به.	2	4.0
		7-نفس الشيء/ السكن في المكان الحالي والأصلي.	1	2.0
		8-لم يجيبوا عن السؤال (الأطفال من خارج المخيم)	12	24.0
10-	اهتماماته / ها بالعودة للمكان الأصلي.	1- مهتم/ة.	43	86.0
		2- قليل الاهتمام بالعودة إلى المكان الأصلي.	5	10.0
		0- غير مهتم/ة.	2	4.0
11-	اهتمامات العائلة بالعودة للمكان الأصلي.	1- لديهم اهتمامات بالعودة.	41	82.0
		2- لا يعرف ما هي اهتمامات أهله بالعودة للمكان	7	14.0
		0- لا توجد لديهم اهتمامات بالعودة (غير مهتمين).	2	4.0
12-	اعتقاده بإمكانية تحقيق العودة للمكان الأصلي.	2- نعم.	24	48.0
		0- لا	17	34.0
		1- غير متأكد.	9	18.0
13-	رأيه/ ها بكيفية تحقيق العودة.	1- استخدام القوة/ تحرير فلسطين بالمقاومة.	12	24.0
		2-توحد الفصائل الفلسطينية.	9	18.0
		3-التمسك بالعودة والمطالبة بها والصمود بأرض فلسطين.	5	10.0
		4-اعتقاد ديني /عندما تقوم الساعة / لما تكون نهاية العالم.	1	2.0
14-	لماذا لا توجد إمكانية للعودة	1-القوة العسكرية للإسرائيليين.	7	14.0
		2-عدم سماح إسرائيل للاجئين بالعودة لأمكنتهم الأصلية.	4	8.0
		3-تغير معالم المكان الأصلي/ وجود سكان يهود.	4	8.0
		4-عدم الثقة بالقيادة والفصائل الفلسطينية الحالية.	4	8.0
		5-الوضع والجو السياسي الحالي.	3	6.0
		6-بناء الجدار الفاصل.	1	2.0
15-	السماع بالقرار 194	1- نعم.	30	60.0
		0- لا.	20	40.0
16-	المعرفة بالقرار 194	0-لا يعرف.	3	6.0
		1-يعرف بالقرار ولكن بشكل سطحي جداً.	11	22.0
		2-قليل المعرفة بالقرار.	10	20.0
		3-كثيراً يعرف بالقرار.	6	12.0
17-	تعريفه لمفهوم حق العودة.	1- حق اللاجئين في الداخل والخارج بالعودة إلى المكان الأصلي.	3	6.0
		2- الرجوع إلى البلد الأصلي مع التعويض عن الخسائر.	1	2.0
		3- الرجوع للمكان الأصلي.	26	52.0
		4- حق مقدس وديني.	10	20.0
		5- العودة إلى فلسطين التاريخية.	5	10.0
		6- حق لكل إنسان فلسطيني هجر من أرضه.	3	6.0
		7- شعار غير حقيقي (حق العودة).	1	2.0

18	الجهة التي عرفت المبحوث عن حياة الأسرة في المكان الأصلي.	1-الجد والجدة (للأب) / الجد والجدة (للام).	34	58.0
		2- الأب/ الأم.	15	30.0
		3- احد الأقارب.	5	10.0
		4-أهل المخيم.	1	2.0
19-	الجهة التي سمع منها الأطفال عن حق اللاجئين بالعودة.	1-أكثر من جهة.	28	56.0
		2-الأهل (الأب والأم والإخوة والجد والجدة).	15	30.0
		3-وسائل الإعلام.	3	6.0
		4-أهل المخيم.	3	6.0

2- المعرفة باسم المكان الأصلي:

بهدف التّعرّف إلى معرفة الأطفال المبحوثين بأسماء القرى والمدن الأصليّة جرى سؤال المبحوثين عن الأصول القروية والمدينية التي جاءت أو هجّرت منه عائلاتهم عام 1948. وتشير النتائج في الجدول (1) إلى أنّ جميع المبحوثين 100% يعرفون أسماء الأماكن الأصليّة التي شرّدت منها عائلاتهم قسراً في عام 1948، وهي علار، عراق المنشية، قطرة، عجور، العمور، القبو، الولجة، المالحة، بشّيت، بيت دجن، بيت جبرين، بيت نتيف، بيسان، دير أبان، حيفا، جِلّية، جراش، قيسارية، رأس أبو عمّار، صرعة، زكريا.

وتتفق نتائج الدراسة الحالية مع ما توصلت إليه دراسة عقل التي أظهرت أنّ سكان المخيمات والأطفال منهم خاصة، لم ينسوا أبداً أنّهم من فلسطين المحتلة عام 1948، وأنّهم من أبناء اللد والرملة وحيفا ويافا، ويدركون أنّ هذه المخيمات لن تكون بديلاً لوطنهم وأرضهم (عقل، 1992: 113). وتتفق أيضاً، مع الدراسة التي قام بها مركز دراسات اللاجئين في جامعة أكسفورد (2001) عن اللاجئين الفلسطينيين في مناطق الأردن، وسوريا، ولبنان والضفة الغربية وغزة. والتي بيّنت أنّ معظم الأطفال والمراهقين في الأردن يذكرون اسم قريتهم الأصلية في فلسطين بوصفها هوية، بينما يكتفي آخرون بذكر فلسطين بوصفها مسقط رأسهم (جامعة أكسفورد، 2001: 9).

وهذا يظهر أنّه على الرغم من مرور ثلاثة وستين عامًا على التهجير القسري[3] فإنّ جميع الأطفال الذين قابلتهم وهم الجيلان الثالث والرابع منذ النكبة والاقتلاع، يعرفون أسماء الأماكن الأصلية لعائلاتهم، أي لديهم معرفة بأصولهم القروية والمدينية التي اقتلعت منها عائلاتهم في فلسطين المحتلة. ويدل ذلك على أنّ المكان الأصليّ لا يزال حيًّا في ذاكرة الأطفال المبحوثين. ووجهة النظر هذه تتفق مع ما أظهره ساري حنفي (2001: 114) في دراساته السّوسيولوجيّة حول اللاجئين الفلسطينيّين أو "فلسطينيي الشتات"، من أنّ الجيل

---

[3] للمزيد من التفاصيل حول عملية تهجير القرى المدمرة والمدن التي احتلت وطرد أهلها أثناء الغزو الصهيوني 1948، ينظر:
الخالدي، وليد. 1992. *كي لا ننسى قرى فلسطين التي دمرتها إسرائيل سنة 1948 وأسماء شهدائها*. واشنطن: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

الثالث لعائلات لاجئة، يعود للبحث عن هويته الأصليّة. أي أنّه دائماً يسعى إلى البحث عن المكان الأصلي الذي هجّرت منه عائلته. بينما قال خوري (2000) بوضوح "إن غريزة البقاء هي التي دفعت اللاجئين الفلسطينيين في المخيمات إلى استعادة أسماء القرى الأصلية، فالوعي بأسماء تلك القرى والبلدات إنّما نما في المخيم، فأعيد في المخيّم تنظيم الأحياء و"الحارات" بحسب القرى والبلدات المهجّرة، وأعيد إنتاج علاقات القرابة الاجتماعية بصورة شبه مطابقة للصورة التي كانت عليها قبل النكبة (خوري، 2000: 138).

وفي جانب آخر، لا بدّ من الإشارة إلى الأطفال من عائلات لاجئة من خارج المخيّم، ونسبتهم (24%) من مجموع المبحوثين إلى أنّهم ما زالوا يعرّفون أسماء الأماكن الأصلية لعائلاتهم. وهذا يتناقض مع ما قاله موشيه ديان "وزير الدفاع الإسرائيلي" عام 1973 من أنه "ما دام اللاجئون في مخيماتهم، فإنّ الأطفال سيقولون بأنهم أتوا من يافا أو حيفا، وإذا أُخرجوا من المخيمات، فإنّ الأمل يكون أنّهم سيشعرون بالارتباط بأرضهم الجديدة" (مصرية، 1997: 81). لقد وجدنا عكس ما يدعيه ذلك المسؤول الإسرائيلي (موشيه ديان)، فلقد تبين ارتباط اللاجئين الذين لا يسكنون في المخيم بقراهم وبلداتهم الأصليّة، وهم يعرفون من أين جاءت عائلاتهم، ويذكروها ويرغبون في العودة إليها، حتى في ظلّ سكنهم خارج المخيّم.

3- المعرفة بموقع المكان الأصلي:

السؤال الموجه للمبحوثين "أين يقع المكان الأصلي؟" كان يهدف التعرّف إلى مدى معرفة الأطفال بمواقع القرى والمدن الأصلية في فلسطين التاريخية. ويتضح من إجابات الأطفال في الجدول (1)، أنّ الغالبية (72%) منهم يعرفون مواقع قراهم ومدنهم الأصلية في فلسطين التاريخية، بينما (28%) فقط لا يعرفون أين يقع المكان الأصلي الذي شرّدت منه عائلاتهم عام 1948. وفي الأغلب ترجع أصول الأطفال المبحوثين إلى قرى ومدن في فلسطين التاريخية تابعة لقضاء القدس، والخليل، ومدن الساحل الفلسطيني.

تقول (غ،ا) وهي طفلة في السادسة عشرة من العمر وأصلها من مدينة حيفا "حيفا بتيجي على الساحل الفلسطيني. ويتحدث (م، ك) في الخامسة عشرة من العمر وقريته الأصلية قطرة " أنها تقع جنب الرملة، قضاء الرملة مش بعيدة عنها". أما (أ، أ) في السادسة عشرة من العمر، وأصله من قرية زكريا. فيقول: "قرية زكريا بتيجي بين الخليل والقدس، وهي جنب بيت نتيف".

ومن الجدير ذكره، أن معرفة الأطفال المبحوثين بالموقع الجغرافي للقرى والمدن الأصلية، إنّما يشير إلى المكانة المركزيّة التي تحتلها تلك الأماكن الأصلية في ذاكرة غالبية اللاجئين الفلسطينيين، وخاصة الأطفال منهم. فهذه الأجيال تسعى إلى البحث عن المكان الأصلي لعائلاتهم تعبيرًا عن الهوية الجماعية والانتماء. فالذاكرة تظل قائمة وكأنها تعيش واقعاً؛ هو استمرار بحثها عن هوية ومكان وأرض ووطن

مسلوب (شعبان، 2001: 53). وهذا يؤكد أيضًا، أنّ الذاكرة ما زالت حيّة وهي تزخر بكلّ معاني الحب والانتماء لهذا الوطن المسلوب، وهذه الحالة مرتبطة بالألم والأسى –الذي يرافق اللاجئين الفلسطينيين أينما وجدوا– على فقدان القرية والأرض والمزرعة والبيت. ولذا أزعم أنّ غالبية اللاجئين الفلسطينيين يهتمون بمعرفة مواقع قراهم ومزارعهم وبيوتهم ومدنهم الأصليّة في فلسطين التاريخيّة للتعبير عن عمق اهتمامهم لمكان أصولهم، وعلى الظاهرة التي تؤكد "أن البشر لا يعرفون من هم حقاً، إلا إذا كان بإمكانهم تقصّي جذورهم؛ لتحديد المكان الذي ينتمون إليه" (Taun, 1980).[4]

وأخيراً أظهرت نتائج الدراسة فيما يتعلق بتأثير بعض متغيرات الدراسة المستقلة كالجنس، ومكان السكن على معرفه الأطفال بموقع المكان الأصلي لعائلاتهم. فبينت نتائج الدراسة في الجدول (2) إلى أنه توجد فروق في نسب الذكور والإناث الذين يعرفون عن موقع المكان الأصلي لصالح الذكور، إذ إن 84.6% من الذكور يعرفون موقع المكان الأصلي مقابل 58.0% من الإناث، فواضح أنّ نسبة الذكور الذين يعرفــون عن موقع المكان الأصلي تفوق نسب الإناث اللواتي يعرفن عن ذلك.

أما بالنسبة لتأثير مكان السكن على معرفة الأطفال بموقع المكان الأصلي لعائلاتهم، فتشير النتائج في الجدول (2) إلى أنّه توجد فروق في نسب الأطفال الذين يعيشون في المخيّم والأطفال من خارج المخيّم الذين يعرفون عن موقع المكان الأصلي لصالح الأطفال من خارج المخيم، حيث إن 83.3% من الأطفال الذين يعيشون خارج المخيم يعرفون موقع المكان الأصلي مقابل 68.4 الأطفال الذين يعيشون في المخيّم.

4– المعرفة عن حياة الأسرة، البيت، والمزارع في المكان الأصليّ

عاش المكان الأصلي داخل كلّ فلسطيني هجّر من أرضه، وتوارث الأبناء عن آبائهم هاجس المكان في داخلهم، للبيت الذي كانوا سيولدون في دفئه، ويلهون في ساحاته لولا هذا المحتل، فبقي جزءًا من الذاكرة يتوقون إليه شوقًا وحنيناً كلّما عاشوا برد ألواح الصفيح وضيق أزقة المخيّم (اشتية، 2009: 55). فإعادة خلق فلسطين بواسطة الذاكرة، لم تكن فقط ردّ فعل طبيعيًّا للفصل القسري بين الفلسطيني ووطنه، بل كانت أيضاً الوسيلة الوحيدة "لتوريث" الأطفال البيوت التي كانت من ميراثهم (صايغ، 1980: 9). بناءً على ما تقدّم، أردت أن أتعرف إلى مستوى الكمّ المعرفيّ (المعلومات) الذي تمتلكه ذاكرة الأطفال المبحوثين عن الواقع المعيش لحياة أسرهم من حيث البيت والمزارع التي كانوا يملكونها في المكان الأصلي.

من بيانات الجدول (1)، تشير النتائج إلى أنّ 40% من الأطفال المبحوثين يعرفون الكثير عن حياة الأسرة في المكان الأصليّ، وأنّ 46% منهم لديهم معرفة قليلة، وأنّ 14% فقط لا يعرفون شيئاً. وتتفق نتائج هذه الدراسة مع دراسة جرّار(1994) التي استخدم فيها عينة عشوائية مكوّنة من (143) وحدة سكنية (عائلة) في كلّ من مخيّمي بلاطة والفارعة في نابلس شمال الضفة الغربية، وقد أخذت المعلومات

[4] نقلاً عن بحث لورا عدوان (2009: 31).

من ربّ العائلة ومن كلّ شخص فوق سنّ الثامنة عشرة من العمر. وقد أظهرت الدراسة أن 43.3% من أرباب العائلات أكدوا على أنّ أبناءها يعرفون الكثير عن بلدهم الأصلي، وأنّ 48.9% يعرفون القليل، وأنّ 16.8% فقط لا يعرفون شيئاً.

هذه النتائج التي تظهر أنّ حوالي (86%) يملكون معرفة (كثيرة وقليلة) عن تفاصيل حياة العائلة في المكان الأصليّ مما يؤشّر إلى حضور ظاهرة مهمة بين اللاجئين ألا وهي "الذاكرة الجماعية". ويصف محمد دكروب (1984: 25) "الذاكرة الجماعية" بأنها "سيرورة المعرفة". وهنا، نستحضر نظرية "الذاكرة الجماعية"[5] والتي من الممكن أن تقدم لنا التصورات المفهوميّة حول علاقة ذاكرة الأطفال المبحوثين بالمكان الأصلي، إذ اتّضح لي في المقابلات أنّها تحمل مخزوناً ثقافيًا واجتماعيًا نوعًا ما عن حياة عائلاتهم بالقرية والمدينة المهجّرة التي طردوا منها.

ويعبر مالكي وغوبتا (1992) عن علاقة الذاكرة الجماعية بالمكان والجغرافيا "بأنها علاقة دفء تربط بينهما"(شولز، 2005: 35). تظهر هذه العلاقة، أي بين الذاكرة الجماعية للأطفال المبحوثين والمكان الأصلي الذي هجّرت منه عائلاتهم، في حديثهم عن حياة الأسرة الاجتماعية والثقافية كالعادات والتقاليد، وحجم الأراضي الزراعية التي كانت تمتلكها أسرهم، ووصفهم لأسلوب الحياة المعيشية والاقتصادية لأجدادهم في الماضي، حتى إنّهم وصفوا البيت بمحتوياته ومكوناته. فالبيت يعدّ أكثر من إرث؛ بل هو حامل لذاكرة العائلة وهو استعادة للجذور ويندمج ضمن التاريخ ويحتفظ بالصلات بين الماضي والحاضر (الزناد، 1994). فالماضي يصوغ أو يكوّن الحاضر بوساطة الذاكرة الجماعية (Ross, 2010: 2). ويبين أباهر السقا (2008) "أن الخطاب حول الماضي تحول إلى تعبيرات ثقافية ووطنية يتقاسمها الفلسطينيون على شكل ذاكرة جماعية". وهذه بعض الاقتباسات التي تبين مستوى المعرفة التي تحملها ذاكرة الأطفال الجماعية عن الحياة في المكان الأصلي:

يقول (س.ع) في الثامنة عشرة من العمر، وأصله من قرية بيت جبرين " كانوا عايشين بالقرية، وكانت الحياة عادية، ومكانوش يدرسوا لانها بعيدة ومكلفة، وحياة فقر وصعبة، ويوم كانوا بدهم يسوا أرغيف خبز، يسووا مع بعض ومع الجيران وأهل القرية، وكان سيدي الوا (50) دونم تقريبا، وهي زي ما هي زارعين اليهود فيها قمح، وفيها مزارع بقر، واليهود هدموا الجامع اللي فيها".ويقول (ع.ع) في الثامنة عشرة من العمر، وأصله من قرية القبو قضاء القدس " أه بعرف، بكى عندهم طابون وكان سيدي مزارع وستي كانت تخبز وترعى الغنم وتلم الحطب، وكان البيت فيه غرفتين وسقفو من القش، وبكى في دونمين ارض يزرعهن سيدي ويوخذ أجرة عشر قروش".

---

[5] للمزيد من المعلومات حول الذاكرة الجماعية، انظر:

Halbwachs, Maurice, (1950/1980) .Collective Memory, edited by M. Douglas. Harper and Row, New York

كما تجدر الإشارة إلى أنّ مجموعة من الأطفال في البحث أدلوا بمعلومات قليلة عن حياة أسرهم في المكان الأصلي وهذه بعض الاقتباسات:

(أ، أ) في الرابعة عشرة من العمر، وأصله من قرية الولجة المهجّرة، يقول:" لم أعرف شيء عن حياة قريتنا من والدي المتوفي وكمان سيدي هلحين متوفي، ولكن أسمعت من قرابتنا ختيار كبير، أنو كان فيها عيون ميه وكان فيها مدرسة وجامع وكانت حلوة وجميلة". وتقول (ي.ج) وهي فتاه في الرابعة عشرة من العمر وأصلها من قرية جراش قضاء القدس "ستي حكتلي انو كانت حياتهم حلوة ومريحة واليهود اجو عليهم وكان فيها بيت كبير عايشين فيه العيلة ومكانش في مزارع كثيرة عنا".

يتضح من إجابات الأطفال، أن المكان الأصلي يكون مهمًّا كشيء يتذكره المرء بكينونته الذاتية، بل إنه رمز للتجذير بمعنى عودة الإنسان وتمسّكه بجذوره، والمجتمعات التي اقتلعت من أماكنها الأصلية لديها إحساس قوي بالمكان في أغلب الأحيان، أو يوجد صورة ذهنية حية أشبه بالأيقونة للمكان الذي أُبعد عنه (شولز، 2005: 39). ويقول عالم الاجتماع الإسرائيلي باروخ كيمرلنغ (1998)

> "لا يوجد مستوطنة أو حي في إسرائيل، لا تختفي تحتها أو تحته، على عمق طبقة واحدة فقط، قرية عربية، أرضها في نظر سكانها هي وطنهم منذ أجيال. إضافة إلى ذلك، أن القليلين من سكان هذه القرى الذين ما زالوا أحياء، وذريتهم جميعاً – جيل ثانٍ وثالث ورابع من سكان مخيمات اللاجئين، أو مجرد منفيين ومقتلعين – ما زالوا يرون في مخيلتهم المنازل والأحياء والحقول وأشجار الزيتون والحمضيات في القرى التي دمرتها إسرائيل، كأنها لا تزال موجودة في انتظار عودة أصحابها، كما لو أن الزمن توقف عن الجريان في يوم عاصف سنة 1948" (كيمرلنغ، 1998: 148).

5– مشاهدة (رؤية) المكان الأصلي، أي كيف تعرّف اللاجئون على صورة المكان الأصلي لعائلاتهم

حين يصبح الوصول إلى القرى والمدن الأصلية داخل فلسطين المحتلة غاية في الصعوبة، بل ممنوعًا على الفلسطينيين دخولها نتيجة المحاولات الصهيونية المستمرة؛ لطمس الحقيقة وتغييب الواقع ومحو الذاكرة للاجئين الفلسطينيين، وبخاصةً الأجيال الحديثة منهم. كان من الأهمية، التعرف على الطرق والوسائل التي انتهجها الأطفال لعائلات مهجّرة لرؤية أو مشاهدة قراهم ومدنهم الأصلية المهجّرة. وذلك من خلال سؤالهم "هل شاهدت المكان الأصلي الذي جاءت منه عائلتك، وكيف كان ذلك؟"

بينت نتائج الدراسة في الجدول (1)، أن الغالبية من الأطفال المبحوثين 70% من العيّنة شاهدوا المكان الأصلي الذي شرّدت منه عائلاتهم بوسائل وطرق متعددة، و22% منهم فقط زاروا قراهم ومدنهم الأصلية في فلسطين المحتلة فعلياً على أرض الواقع، و20% شاهدوا قراهم وبلداتهم الأصلية عن طريق صورة فوتوغرافية تذكارية قديمة، و10% شاهدوا بلداتهم وقراهم الأصلية من خلال صور على الانترنت، وأيضاً 10% شاهدوا قراهم ومدنهم الأصلية بواسطة وسائل الإعلام (التلفاز)، و 8% من المبحوثين شاهدوا

قراهم الأصلية لدى مرورهم بالمنطقة وبالقرب من تلك القرى الأصلية. في مقابل 30% لم يشاهدوها بالمرة. وعلى الرغم من عدم مشاهدتهم لها، يقول (ر،ع) في الخامسة عشرة من العمر من مدينة حيفا الساحلية "لم أشاهدها بس أسمعت أنها حلوة". روز ماري صايغ (2005: 10) في إطار هذه النتائج، تقول: "تاريخيًا، تميز اللاجئون الفلسطينيون عمومًا بارتباطهم الوثيق بمحلية المكان؛ بدليل زياراتهم المتكررة إلى ديارهم الأصلية كلما سمحت لهم الظروف.

ولد الأطفال الفلسطينيون اللاجئون الذين شرّدت عائلاتهم عام 1948، و1967 في المخيمات والمناطق التي لجئوا إليها، ومعظم هؤلاء لم يدخلوا ما يعرف بالدولة العبرية أبداً. ولذا، فإن أفلام الفيديو والصور والمواقع الالكترونية الخاصة بالمناطق الأصلية التي شرّدت منها عائلاتهم، يمكن أن تساعد في إعطاء انطباع أولي عن المكان الأصلي الذي يودون العودة إليه (Badil, 2006: 33). فحوالي 40% من الأطفال في الدراسة شاهدوا المكان الأصلي من خلال هذه المحاور.

لقد قام 22% فقط من اللاجئين الفلسطينيين الذين أتيحت لهم الفرص المناسبة لدخول "إسرائيل" من تنظيم زيارات عائلية للقرى والمدن الأصلية؛ بهدف تعريف أبنائهم إليها، وتذكيرهم بأن أجدادهم كانوا يعيشون فيها، وكانوا يملكون تلك الأراضي الزراعية. وتشير نتائج المقابلات إلى أن بعض الأطفال، شاهدوا بلداتهم الأصلية من خلال زيارتها فعلياً وعلى أرض الواقع. وهذه بعض الاقتباسات للأطفال الذي شاهدوا المكان الأصلي بالواقع:

فيقول (س،ع) في الثامنة عشرة من العمر وقريته الأصلية بيت جبرين "اه، شاهدتها، ورحت زرتها وشفتها، هي حلوة وأحلى من هان، ويوم ما قعدت فيها حسيت بشعور غريب مختلف، وأنها قريتي ومش لازم أتخلى عنها". وتقول(ي،ج) في الرابعة عشرة من العمر وقريتها الأصلية جراش "أخذني أبوي وانا صغيرة لجراش، وهي كانت مش مبنّى فيها اشي، والبيوت زي ما هي مهدومة وقديمة، وكان ممنوع ندخل عليها". أما (أ، ز) في الخامسة عشرة من العمر من مدينة قيسارية فيقول: "اه زرتها قبل 3 سنوات وهي أثرية، وكان فيها أعمدة قديمة".

من الواضح أن قلة من الأطفال شاهدوا مكان أهاليهم الأصلي، وهذا طبيعي إذا تذكرنا الإجراءات التي يقوم بها الاحتلال لمنع اللاجئين من زيارة أماكنهم الأصلية، ومن إزاحة المكان بالكامل.

وفي جانب آخر، لا بد من الإشارة إليه فيما يتعلق باللاجئين الفلسطينيين الموجودين داخل "الكيان الصهيوني" (إسرائيل)، إذ كانوا أوفر حظاً من إخوانهم في المناطق الفلسطينية والشتات؛ وذلك بسبب قربهم من قراهم الأصلية. ويشير نور مصالحة (2009: 2) قائلاً " إن الأجيال الفتية من لاجئي الداخل بدأت مجددًا تطالب بحقوقها على الماضي، وتستحدث قصص ذكرياتهم عن قراهم الأصليّة بوسائل عديدة في محاولة لصياغة سرديّة جديدة للعودة والتخليد، فتقوم هذه الأجيال الفتية بزيارات لقراها المهجّرة، وتنظيم

المخيّمات الصيفيّة والمسيرات إلى تلك القرى". ويرى مصالحة، أن هذه الزيارات شكّلت مركباً أساسياً في استراتيجيّات لاجئي الداخل في محاولاتهم لصياغة سرديّة جديدة بالتأسيس على قراهم الأصليّة. إن الهدف من هذه النشاطات هو تشجيع لاجئي الداخل على التعرّف مجدداً وبصورة شخصيّة إلى قراهم وتعزيز الذكريات والشعور بالانتماء والهوية.

وأظهرت نتائج المقابلات أن صورة المكان الأصلي يتم إعادة إنتاجها في الصور التذكارية، وهي في رأيي من أكثر الوسائل توفرًا، نظرًا للحواجز العسكرية والعقبات السياسية العديدة التي تستخدمها "إسرائيل" منذ العام 1948 وخاصة إقامة الجدار العنصري الفاصل. فالصورة الفوتوغرافية وما فيها من شواهد مادية للمكان الأصلي بقيت الوسيلة الوحيدة التي تمكن اللاجئين الفلسطينيين من رؤية ديارهم الأصلية وتخيلها، كما بينت نتائج المقابلات أن الصور التذكارية القديمة، والأفلام الوثائقية عن القرى والمدن الأصلية من الوسائل المتاحة التي تذكر اللاجئين بأراضيهم وقراهم ومدنهم المهجّرة، وتعطي انطباعات مادية ملموسة "لأماكن الذاكرة". وهذه بعض الاقتباسات للأطفال الذين شاهدوا المكان الأصلي بطريقة غير مباشرة:

تقول (ل، س) في الخامسة عشرة من العمر، وأصلها من قرية بيت نتيف– في هذا الخصوص– " أه شاهدتها، عن طريق صور في مركز الرواد الموجود بالمخيم ". أما (ح) في السابع عشر من العمر، وأصله من قرية المالحة فيقول "آه شاهدت قريتي الأصلية، عن طريق صورة قديمة كان يحتفظ فيها سيدي، وعن طريق الانترنت". وتقول (أ، ك) في السادسة عشرة من العمر وأصلها من قرية بيت نتيف "شفت بلدي عن طريق التلفزيون، من خلال برنامج كانوا يعرضوا على التلفزيون المحلي الرعاة، وكان يحكي عن بلدنا وقتيش تهجرت وشفت أراضي ودور لليهود ودور مهجرات إلنا".

من الأهمية بمكان، عدم إنكار دور مصادر التنشئة الاجتماعية الأخرى كوسائل الإعلام[6] في إظهار الجانب الحي للمكان الأصلي عبر ما تبثه من أفلام وثائقية، وبرامج تظهر معاناة الأجداد الذين اقتلعوا من المكان قبل ثلاثة وستين عاماً، بالإضافة إلى ذلك، فهي وسيلة أخرى لإحياء الذاكرة الفلسطينية للأطفال الصغار ولو كانت بشكل غير دوري، وفي مناسبات معينة كيوم النكبة مثلاً.

واتضح للباحث أيضاً أن من الوسائل غير المباشرة في التعرف إلى صورة المكان الأصلي هو قيام الآباء بتعريف أبنائهم إلى قراهم ومدنهم الأصلية عبر مرورهم بالمناطق القريبة من القرى الأصلية. وقد كانت هذه الوسائل غير المباشرة في أغلبها خلال ذهابهم لزيارة أقربائهم من الأسرى في السجون الإسرائيلية داخل ما يعرف بـــ"إسرائيل"، وهذه فرصة من الآباء لتعريف أبنائهم عليها.

---

[6] للتعرف على دور الإعلام في تعزيز حق العودة، انظر:
أبو شنب، حسين، 2007 .التناول الإعلامي لموضوع حق العودة للاجئين الفلسطينيين، المؤتمر الفكري والسياسي الثاني للدفاع عن حق العودة " تعزيز ثقافة حق، 1/11/2007 -10/ العودة في المناهج الدراسية والأدب والإعلام "والمنعقد بتاريخ 31 غزة، فلسطين.

وهذه بعض الاقتباسات لما عبّر عنه الأطفال لعائلات لاجئة من خلال مشاهدتهم للمكان الأصلي:

فتقول (ا، د) في الخامسة عشرة من العمر وأصلها من قرية دير أبان "يوم كنا نروح على زيارة أخوتي بالسجن، وكنا نمر من هذيك الطريق أي طريق البلاد، كان يقلنا أبوي هاي ديرابان". ويقول (م،أ) في السادسة عشر من العمر"اه شاهدتها، بكيت أروح أزور ابن عمي بالسجن وكنت أمر من قرب دير أبان". ويقول (أ،أع) في السادسة عشرة من العمر من قرية الولجة "أه رحت على الولجة بس مش الأصلية، اللي حواليها، وشفت البلد الأصلية اللي فيها حديقة الحيوانات".

أخيراً، يمكن القول: إن الماضي يستحضر صورة المكان الأصلي ويوظفها في ذاكرة الأطفال وتفكيرهم ، فصورة القرية وما فيها من أحداث وشواهد مادية وحسية إنما تعبر عن عمق التعلق والتمسك بالمكان الأصلي. فأماكن الذاكرة مهمة في هذا السياق؛ لأنها تعزز في ذاكرة الأطفال مفاهيم ورموزًا مادية حية يصعب نسيانها. فالهدف الأكبر لنظرية "أماكن الذاكرة" لبيير نورا (1989) هو سد الطريق على مفاعل النسيان، وتحويل الأشياء غير المادية إلى أشياء مادية ملموسة.

6- معرفة الأطفال بامتلاك الأسرة لمقتنيات[7] تشير أو ترمز للمكان الأصلي

تحتفظ غالبية اللاجئين الفلسطينيين بأدوات ومقتنيات كالوثائق الشخصية، طابو الأرض، صور قديمة، مفتاح البيت؛ حملوها معهم أثناء تشريدهم وطردهم الجماعي من بيوتهم وقراهم الأصلية. وتم توجيه السؤال: هل تمتلك أسرتك أي وثائق، صور، مفتاح البيت؛ تشير إلى المكان الأصلي، وما هي هذه الوثائق؟ بهدف التعرف إلى نوعية المقتنيات والوثائق التي تمتلكها الأسرة، والتعرف إلى اهتمام الأطفال بمعرفة هذه الأغراض أو المقتنيات.

توضح نتائج الدراسة في الجدول (1)، أن 60% من أفراد العينة لديهم معرفة بامتلاك الأسرة لأشياء وشواهد مادية حية تشير للقرى والمدن الأصلية. إذ تبين النتائج أن 30% من أفراد العينة أجابوا بأن أسرهم تمتلك مفتاح البيت، و 20% يمتلكون طابو الأرض، و6% لديهم أدوات مختلفة، و 4% لديهم صور تذكارية قديمة. في مقابل 40% من أفراد العينة لا يعرفون بامتلاك أسرهم لأشياء تشير أو ترمز للمكان الأصلي.

ومن الجدير ذكره هنا، أن مفتاح البيت، وطابو الأرض أصبحا من رموز وشواهد الذاكرة الجماعية (Halbwachs, 1950/1980) الفلسطينية وحق العودة. لقد احتفظ اللاجئون الفلسطينيون بمفتاح البيت

---

[7] المقصود بالمقتنيات (وثائق، صور، مفتاح البيت، طابو الأرض، أدوات من المكان الأصلي..... الخ) والتي حملها معهم اللاجئون الفلسطينيون أثناء حرب عام 1948.

وطابو الأرض، والأدوات الأخرى (كالمنجل، والغربال، والأواني المنزلية) التي حملوها معهم أثناء تهجيرهم من منازلهم وأراضيهم بقوة السلاح، وكان يحدوهم الأمل بالرجوع إليها مرة أخرى بعد أن تنتهي الحرب. وتقول: غادة كرمي (2005: 103) "حينها لم يكن يخطر في بال أي فلسطيني في ذلك الوقت أن الانتقال لا يعدو كونه مؤقتاً وبأن العودة عما قريب حتمية وإلى أن تهدأ الأحوال" إلا أن هذه العودة لم تتحقق، وبقيت غالبية اللاجئين الفلسطينيين تعيش في المخيمات والشتات تحلم بالعودة، وهم لا يزالون يحتفظون بمفتاح البيت وطابو الأرض (الكوشان) في إشارة رمزية ومعنوية إلى المكان الأصلي وحقهم بالعودة إليه، وشاهدًا حيًّا على تاريخ الحياة الاجتماعية والثقافية التي عاشها جميع الذين اقتلعوا من بيوتهم وأرضهم في تلك الفترة.

على أي حال، أظهر تحليل المقابلات أهمية المقتنيات التي يحتفظ بها اللاجئون الفلسطينيون في بيوتهم. فمفتاح البيت، وأوراق الأرض، وأدوات المنزل والعمل، كانت وما زالت تشكل أهم الدعائم المادية التي تذكر اللاجئين أينما وجدوا بقراهم ومدنهم الأصلية، وهي باعتقادي ذكرى مريرة تدفعهم لتوارثها والحفاظ عليها من جيل إلى جيل.

فتقول (أ، د) في الخامسة عشرة من العمر وأصلها من قرية دير أبان "عنا مفتاح، لدار سيدي اللي في دير ابان، وإحنا محتفظين بالمفتاح كنوع من الافتخار، ولدينا رغبة وأمل، بلكن نرجع للبلاد". ويقول (ث، ن) في السابعة عشر من العمر، وأصله من قرية العمور "بنمتلك ورق الأرض، ومفتاح الدار، اللي كانوا بيحلموا أنهم يرجعوا". أما (أ، ج) في الخامسة عشرة من العمر، وأصله من بيسان، فيذكر " بس عنا مفتاح الدار، اللي كان إلنا في بيسان وهو مع سيدي".

إذن، نحن لا نتحدث عن وطن متخيل أو مفترض، بل عن وطن محدد لكنه اختزل إلى مجرد مفتاح أو أسماء مكتوبة بسرعة على جدران المخيم... أو أسماء ألحقت بالعائلات لتعود إلى الأصل الأول(إبراهيم، 2007، 8). ويتضح في إطار هذه المقاربات، أن مفتاح البيت أصبح الرمز الأخير للوطن، والدليل على حياة مختلفة عاشها الفلسطينيون قبل النكبة، ومفتاح البيت رمز للعودة، عودة لا إلى البيت المتروك هناك فحسب، بل إلى الحياة الطبيعية أيضاً. لذلك أصبح المفتاح الرمز المادي لتفكير اللاجئ، والتركة الأخيرة التي يورثها الأبُ لأبنائه (سعدي، 12: 2003). كما يبين لنا المقطع التالي الذي أورده Edward Said (1986) في كتابه After The Last Sky:

> "عندما شارف والد أ. ز على الموت، نادى أولاده... إلى حجرته لحضور آخر اللقاءات العائلية، عجوز طاعن في السن، وضئيل الحجم من حيفا، قضى الأربع وثلاثين سنة الماضية عاجزاً عن تصديق ضياع بيته وأملاكه. والآن همس لأولاده بالكلمات المتقطعة الأخيرة لأب معدوم وعاجز: " احفظوا المفتاح وكوشان الأرض".

أهمية المكان الأصليّ للفرد وأسرته واهتمامه واهتمام أسرته للعودة، وشعوره نحو العيش في المخيم

1- أهمية المكان الأصلي للأطفال وعائلاتهم:

كانت الغاية من السؤال "ما أهمية هذا المكان (القرية/البلد) لك ولعائلتك، وهل هنالك فرق بين مشاعرك لها، ومشاعر أبيك وأمك لها" هي استكشاف آراء الأطفال في البحث حول أهمية المكان الأصلي وما يعنيه لهم ولعائلاتهم، خاصة أن الأطفال موضوع الدراسة لم يولدوا في قراهم ومدنهم الأصلية.

تشير نتائج الدراسة في الجدول (1) أن 40% من الأطفال قالوا إن المكان الأصلي مهم لهم ولعائلاتهم (نفس الأهمية) في حين أجاب 30% أن أهميته لأهلهم أكثر منهم، بينما أكد 22% أن القرية/البلد مهمة لأنها "المكان الأصلي". وفقط واحد من الأطفال قال إن أهميتها له أكثر من أهميتها لأهله.

من النتائج السابقة يمكن القول: إنّ العديد من الأطفال عبّروا عن أهمية المكان الأصلي؛ لأنه يرمز إلى ماضي أجداهم وآبائهم واحتوائه على الأصول (الجذور) والانتماء. فأهمية المكان في ذاكرة الأطفال له علاقة برمزية العودة التي اعتمدها الخطاب القومي الفلسطيني في مراحل الثورة والكفاح المسلح. وهذه بعض الاقتباسات للأطفال الذين يعتبرون أن المكان الأصلي يمثل نفس الأهمية لهم ولعائلاتهم:

تقول (س، ق) في الساسة عشرة من العمر، وأصلها من قرية المالحة" عشان تربوا فيها أجدادي، وهي الأصل، البلد اللي عاشوا فيها أجدادي، وذكرياتهم فيها، النظرة نفس الاشي للبلد الأصلي بيني وبين أهلي، لاني اعتبرها زيهم ارض الأجداد". أما (أ،ع) في السادسة عشرة من العمر، وأصله من قرية الولجة فيقول: "أنها القرية اللي انولد فيها أجدادي وأبوي، ولازم أرجع عليها، وكان أهميتها لأهلي، والدي الله يرحموا، أنو البلد اللي لازم نرجع عليها، ونظرتنا زي بعض انو لازم نرجع عليها، ومش لازم نفرط فيها".

ويقول (م،ح) في السابعة عشرة من العمر وأصله من قرية علار "عشان أجدادي فيها كانوا عايشين هي مهمة إلي، أهميتها أنها بلدهم، وبحافظوا على الرجعة إلها، أه بيقعدوا يتحسروا إنهم مش عايشين فيها". أما (ي،ج) في الرابعة عشر من العمر وأصلها من قرية جراش. فتقول: " طبعاً أرضي وشو ما صار مش راح أتخلى عنها، وبالنسبة لعيلتي أبوي أصغر واحد معاشش فيها، بس هي مهمة الو لأنو كانوا مرتاحين فيها، ونفس الإحساس لأنو كلنا بنعتبرها أرضنا".

في حين قال عدد من الأطفال (30%) إنّ المكان الأصلي مهم لأهلهم أكثر من أهميته لهم. وقد برر أفراد العينة ذلك؛ بأن أجدادهم وآباءهم عاشوا في تلك القرى وزاروها وشاهدوها أكثر منهم، بالإضافة إلى

أنهم عاشوا معاناة التهجير والنكبة وجربوا حياة معيشية صعبة في بداية السكن بالمخيم. وهذه بعض الاقتباسات للأطفال:

فتقول (أ، ح) في السابعة عشرة من العمر، من قرية بيت نتيف: " هي أرضنا وإحنا بننتمي إلها، بيجوز يعرفوها أكثر مني، وهم جربوا الحياة، أي أجدادي، وأمي بتحب ترجع للقرية الأصلية لأنها عاشت معاناة النكبة". أما (أ، ي) الرابعة عشرة من العمر، وأصلها من مدينة يافا، فتضيف:" بلدي وبعتبرها أرضي وأنوا أساسي فيها، وهي مسقط راسي، لأنو عيلتي أجلوهم منها، وأنا بعرفهاش ومعمريش شفتها، بس أبوي بتذكرها، وهو راح يشتغل فيها، وهو وصف إلنا إياها، كيف كانت أراضيها وشجرها، عشان هيك هي مهمة الو أكثر مني". وأما (م، ك) الخامسة عشرة من العمر ، من قرية قطرة، فيقول: " أهميتها أنها بلدي ونفسي أرجع عليها، وبقدرش أتخلى عنها، إنها بلدهم الأصلي وحابين يرجعوا عليها ويشوفوها". أما نظرتها لأهله فتقول " بيجوز أنو نظرتها لأبوي أقوى مني أبوي أكيد شافها وسمع عنها أكثير، أما أنا مشفتهاش، بس أسمعت عنها".

نستنتج مما سبق، أن المكان الأصلي له أهمية خاصة في نظر كثير من الأطفال فهو يمثل لهم الحلم الغائب الذي لم يروه ويتمنون العودة إليه هم وعائلاتهم. كما لاحظت من إجاباتهم، أنهم متجذرون في هذه الأماكن، ويحنون إليها، ويرفضون التخلي عنها. وفي هذا السياق يشير Gupta and Ferguson (19: 1992) إلى "أن الأماكن المتذكرة أصبحت من الرموز والدلالات التي يرتكز عليها مجتمع الناس المشتتين أو المشردين، وهذا أصبح على المدى البعيد كشيء حقيقي لهؤلاء المشتتين، الذين استخدموا ذاكرة المكان ليبنوا بها بشكل خلّاق أماكن سكناهم الجديدة".

2- مشاعر الأطفال نحو المخيّم ونحو العيش فيه:

من إحدى الظروف التي تساعد على تعميق مفهوم الحنين للمكان الأصلي والتمسك بحق العودة هي ظروف المعيشة في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين. من هنا كان من الضروري التعرف إلى كيف يرى هؤلاء الأطفال حياتهم في المخيم، وما هو شعورهم تجاهه؟ أي تقتصر الإجابة هنا عن هذا السؤال على 76% فقط من الأطفال الذين يقيمون في المخيم وعددهم 38 طفل وطفلة (انظر إلى الجدول 1).

من 76% من الأطفال المبحوثين الذين يعيشون في المخيّم، 48% غير راضين عن حياتهم أو معيشتهم في المخيم فكان 20% ناقداً لواقعه المعيشي/ للضيق (التصاق البيوت ببعضها)، و 14% قالوا: إن حياتهم المعيشية ستكون أفضل في المكان الأصلي، وكان 8% من المبحوثين ناقداً للعلاقات الاجتماعية، و 6% منهم مجبرًا على السكن في المخيم و4% منهم يعتقد أن التهجير قدم فرص تعليم أفضل، و 2% قالوا إنه

مكان مؤقت (غير دائم). في مقابل 22% فقط من الأفراد عبّروا عن رضاهم في حياتهم المعيشية بالمخيم (متأقلم).

تمثل مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في كلٍ من المناطق الفلسطينية والشتات، عنواناً دائمًا لنكبة عام 1948. فاللاجئون الفلسطينيون لا يزالون قابعين في عشرات المخيمات والمناطق السكنية في الضفة الغربية وقطاع غزة والشتات. وتعاني المخيمات الفلسطينية، وخاصة مخيم عايدة (مجتمع البحث) من أزمة سكانية واضحة، بالإضافة إلى أن المخيم يعاني من الضيق والتصاق المباني ببعضها البعض، مما يشكل انعدام الخصوصية الشخصية وحرية الحركة، وانعدام مقومات الحياة العادية بوصفها أماكن للترفية مثلاً. فلا يوجد في المخيم أي متر مربع واحد دون سكن. فتشير المعطيات الواردة في الدراسة الحالية، في هذا الخصوص، وكما جرت الإشارة إليه سابقًا، من أن حوالي (48%) من أفراد العينة يشعرون بأن حياتهم في المخيم بئيسة، وهم غير راضين عن معيشتهم السكنية في هذا المخيم.

فيقول (م، ج) في السابعة عشرة من العمر وأصله من قرية المالحة: " البيت كلو رطوبة، وضيّق وأزمة سكن". أما (م، ح) في السابعة عشر من العمر وأصله من قرية علار. فيقول : " العيشة بالمخيم مش كويسة، مش عيشة، بتوخذش راحتك بالمخيم". أي هنا إشارة إلى التصاق البيوت من بعضها البعض. ويقول (م، م) في العشرين من العمر وأصله من قرية دير أبان "حياة المخيم حلوة، بس يوم يكون إلك أملاك مش زي ما يكون إلك عقر دار(بيت صغير جداً)، وإحنا فلاحين بنحب الأرض". وتقول (ل، س) في الخامسة عشر من العمر وأصلها من قرية بيت نتيف: " الحياة فيه صعبة والواحد بيوخذش راحتو فيه، والبيوت جنب بعض، وأزمة. وغاد راح تكون راحة للنفس لأنك بأرضك مش بالمخيم ".

3- تخيلات الأطفال لطبيعة الحياة لو بقيت العائلة في المكان الأصلي:

جرى سؤال الأطفال عن تخيلاتهم لطبيعة الحياة لو بقيت عائلاتهم دون تهجير؛ وذلك للتعرف إلى وجهة نظر/آراء الأطفال نحو الحياة في المكان الأصلي لو بقيت عائلاتهم دون تهجير، ومقارنتها بالحياة في المخيم. إجابات الأطفال حول هذا السؤال كانت على الأغلب متشابهة وتؤكد على أفضلية المكان الأصلي بالنسبة للمخيم. وهنا أيضاً تقتصر الإجابة عن هذا السؤال فقط على 76% من الأطفال الذين يقيمون في المخيم وعددهم 38 طفلا وطفلة.

تدل النتائج الموضحة في الجدول (1)على أن 26% من الأطفال من مجموع الـ 76% من المبحوثين الذين يعيشون في المخيم قالوا إن حياتهم ستكون مريحة اجتماعياً ونفسياً في المكان الأصلي، و 24% منهم قالوا إن وضعهم الاقتصادي سيكون أفضل في المكان الأصلي، وظنّ 18% منهم بأن الحياة في المكان الأصلي فيها حرية التنقل ومنطقة سكن أوسع، في حين أنّ 16% منهم يعتقدون بأن الحياة في المكان

الأصلي ستكون أفضل لأنه توجد أراض زراعية، في إشارة إلى عدم الخروج للعمل بأجر، بينما رأى 4% فقط من الأطفال المبحوثين بأن الحياة في المخيم ستكون أفضل من المكان الأصلي، وواحد فقط اعتقد أن الحياة والسكن في كلا المكانين ستكون نفس الشيء.

تبين لنا المعطيات الواردة في دراستي هذه، أنّ غالبية الأطفال المبحوثين يرون أن حياتهم في المكان الأصلي ستكون مختلفة لو بقيت عائلاتهم دون تهجير. فرأى العديد منهم أن الحياة في القرية الأصلية ستكون مريحة اجتماعيًا ونفسيًا. ولعل ذلك يرجع إلى صعوبة الحياة الاجتماعية والمعيشية في المخيم، فالمخيم يتألف من وحدات سكنية، والمباني ملتحمة مع بعضها البعض، بصورة واضحة للعيان. كما أن المخيم يعاني من الازدحام السكاني.

يرى (م، م) في العشرين من العمر، وأصله من قرية دير أبان " طبعاً غاد راح يكون استقرار في الحياة ويكون إلنا أرض وبنكون مرتاحين، ونكون كلنا، كل الأهل والعيلة جنب بعض مش مشتتين".

كما أوضح الأطفال، أن الوضع الاقتصادي لعائلاتهم سيكون أفضل في المكان الأصلي، وهذا يعود إلى الفقر وتدني مستويات المعيشة داخل المخيم، وعدم وجود أملاك أو عقارات. بالإضافة إلى مستوى البطالة المرتفع، واعتماد العديد من اللاجئين في المخيم على العمالة المحلية الرخيصة، وعلى الوظائف المدنية والعسكرية في السلطة الفلسطينية وفي المؤسسات الخاصة. كما أن قسماً من أهل المخيم (43%) محروم من العمل بإسرائيل لأسباب أمنية. فاللاجئون يتطلعون إلى حياة أفضل من حياتهم بالمخيم، ويحلمون بأن تكون لهم أراضٍ زراعية، وبيت جيد، ومستوى معيشة أفضل، وحرية تنقل وأماكن أوسع من المخيم. والأهم من ذلك كله أنهم يفضلون العيش في قراهم ومدنهم الأصلية لانتمائهم إليها، ولأن أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية ستكون أفضل. فإجابات الأطفال تعبر عن هذه الصورة التي تخيلوها لو أنهم بقوا في قراهم ومدنهم الأصلية.

فتتحدث (ح، م) في التاسعة عشرة من العمر، بخصوص، لو أن عائلتها لم تتهجر من قرية رأس أبو عمار. بأنه "راح يكون وضعنا أحسن، بيكون عنا، أراضي زراعية، وبيت أحسن وأوسع، ووضعنا الاقتصادي بيكون أفضل". أما (أ، ل) في السادسة عشر من العمر و أصله من قرية زكريا فيقول: " لو أنا في البلد، راح يكون عندي بيت ومزارع، وأراضي قدامها، مش ضياق زي هلحين". أما (أ، ي) في الرابعة عشر من العمر، وأصلها من قرية بيت دجن، فتشير بأنه " كان ما في مشاكل، والمشاكل المادية معبية الدنيا، وكان راح يكون عنا أراضي، ونفسياتنا أتأثرت، وكنت أخاف من الاجتياح، من اليهود".

وتضيف (أ) في التاسعة عشرة من العمر، وأصلها من قرية صرعة " لو بقيت عيلتي بدون تهجير، لكان اختلفت نفسياتنا، ومادياً كمان، وكانوا ما شعروا أنهم لاجئين مشردين، ساكنين في مخيم مش إلهم". ويعقب

(م) في العشرين من العمر، وأصله من قرية دير أبان " راح يكون حياة مختلفة، وراح نكون في أراضينا، وفيها مساحات واسعة، وراح يكون وضعنا الاقتصادي أحسن، وكمان فيها راحة نفسية لأنها البلد الأصلي مش المخيم".

من إجابات الأطفال، نلاحظ عمق مأساة التهجير للفلسطينيين من بيوتهم وقراهم ومدنهم الأصلية. فعلى أثر ذلك تحولوا من مواطنين يمتلكون الأرض إلى لاجئين معدمين يعيشون في مخيمات بئيسة بنيويًا وبيئيًا واقتصاديًا. ونستنتج من التحليل السابق، أن ذاكرة الأطفال اللاجئين من أبناء الجيلين الثالث والرابع غنية بالأحداث والوقائع والتصورات التي نسجتها ذاكرتهم المريرة نحو حنينهم وشوقهم لقراهم ومدنهم الأصلية. ومن الأهمية ذكر الدور الذي تحدثه الذاكرة في بناء الأمة والمجتمع. فيقول ادوارد سعيد (2001: 100): "لعل أعظم حرب شنها الفلسطينيون بوصفهم شعباً، هي حرب بخصوص حقهم الشرعي في استحضار ذاكرة تخصهم، ومع ذلك الحضور، حقهم في الامتلاك وحقهم في استرداد واقع تاريخي جمعي".

4- اهتمامات الأطفال المبحوثين بالعودة إلى المكان الأصليّ

الإجابات عن سؤال اهتماماتهم وحنينهم للعودة إلى المكان الأصلي تراوحت عند المبحوثين بين المهتمين جدًا والمهتمين نوعًا ما وغير المهتمين (انظر الجدول 1)، ولكن أغلبية الأطفال المبحوثين (86%) أكدوا على أنهم مهتمون بشكل واضح بالرجوع إلى أماكن سكن أجدادهم الأصلية، بينما أظهر 10% منهم أنّ لديهم اهتمامات قليلة، وأظهر 4% منهم لا توجد لديهم اهتمامات بالعودة إلى المكان الأصلي

لقد تبين من المقابلات مدى اهتمام الأطفال للعودة إلى قراهم ومدنهم الأصلية، وقد اتضح هذا عبر المشاركة في الأحداث والفعاليات والنشاطات السياسية التي يحيونها في المخيمات للتأكيد على تمسّكهم بحق العودة. وبمعنى آخر، إن طريقة إحياء اللاجئين الفلسطينيين لذكرى نكبة عام 1948، وذكرى احتلال قراهم ومدنهم الأصلية، ما هي إلا نتيجة للتأثير الكبير الذي أحدثته على حياتهم الاجتماعية والعاطفية والسياسية. ويشير نواف سلام (1994: 35) إلى أنه يبدو طبيعيًا جدًا أن يتمسك اللاجئون الفلسطينيون أينما وجودوا، كما فعلوا، بحقهم في العودة إلى قراهم ومدنهم الأصلية، وأن يجعلوا منها حجر الزاوية في نضالهم الوطني على امتداد ثلاثة وستين عامًا، فالكفاح المسلح والنضال الشعبي ضد "الصهاينة" ما يزال قائماً منذ عام 1948 وحتى يومنا هذا. أما غادة الكرمي (1999) من لاجئي الشتات في بريطانيا ترى "أن تكاثر الجمعيات الفلسطينية، من مثل: مركز العودة الفلسطيني، وائتلاف حق العودة، ما هو إلا دليل على تعلق الفلسطينيين بحقهم في العودة إلى الأماكن الأصلية التي اقتلعوا منها والذي يجري إبرازه، وتأكيده عن طريق العرائض والمسيرات" (محمود، 2005: 182).

من جهة أخرى، بينت النتائج أن إحساس الأطفال المبحوثين وآمالهم وحنينهم بالعودة إلى قراهم الأصلية ما يزال مستمراً. فالحرمان المادي والاجتماعي الذي يعيشه اللاجئون في المخيم، ومشاعر الحنين نحو المكان الأصلي يدفعهم إلى الاهتمام بالعودة إلى قراهم الأصلية؛ ليعيشوا فيها كباقي الشعوب التي تعيش في ديارها الأصلية. ويؤكد Warnner (1994) "أن من بين العوامل التي تساعد اللاجئ على العودة هو حنينه لوطنه وأمله بالعودة إليه، وإذا بقيا في ذهنه، وكانت هنالك عملية تثقيف للأجيال لإحياء الحنين واستمرار الأمل بالعودة، فإنه بذلك يستمر تمسك اللاجئ بموطنه الأصلي واهتمامه بالعودة إليه" (جرار 1997: 13). وهذه بعض الاقتباسات للأطفال المبحوثين التي تبرز مدى اهتمامهم بالعودة إلى المكان الأصلي:

فتقول (أ، د) في الخامسة عشرة من العمر، وقريتها الأصلية دير أبان "آه القرية، عندي اهتمامات بالعودة، وبعبر عنها بالزراعة، وبحب حياة القرية، وبحب أزرع أي أشي في بيتنا، رغم أنو فش فيها مكان للزراعة، وكنا بمركز لاجئ نرسم قريتنا". أما (أ، ع) في السادسة عشرة من العمر، وقريته الأصلية الولجة. فيقول: "عندي اهتمامات وحنين بالعودة لقريتنا، وأنا بشارك بالمراكز اللي بالمخيم، وزرنا معهم بلاد كانت إلنا زي بيت جبرين، وبيت عطاب".

وكما يقول (م، أ) في السادسة عشرة من العمر، وقريته الأصلية دير أبان " أه عندي اهتمامات أني ارجع لبلدنا، وأنا بشارك بمظاهرات ومسيرات حق العودة اللي بتصير، وكمان بتطلع على التلفزيون يوم ما يجيبوا برامج عن اللاجئين وحق العودة". وتشير (س، ع) في التاسعة عشرة من العمر، وقريتها الأصلية رأس أبو عمار بأنه " عندي اهتمامات أن أعود لبلدي الأصلي، ومجرد ذكري أنها بلدنا الأصلي، هاد بيدل أنو عندي اهتمامات فيها".

وتؤكد جولي بيتيت (1995) على ذلك بقولها: "اللاجئون الفلسطينيون صنفوا أنفسهم بـــ "العائدين". فالعودة هي هدف الحياة عندهم. وهذا هو خطاب منظمة التحرير الفلسطينية وهو الشعار الذي نشأ وترعرع عليه الناس في المخيمات. أن تكون واحداً من العائدين يعني أن تكون نشيطًا وأن تتعزز الرغبة في الذهاب إلى المكان الذي جئت منه" (شولز، 2005: 41-42).

بالرغم من أن معظم الأطفال المبحوثين قالوا إنهم مهتمون بالعودة للمكان الأصلي الذي شرّدت عائلاتهم منه، إلا أن الدراسة بينت أيضًا، أن هنالك عددًا من أطفال المخيم، أكدوا بأنه لا توجد لديهم اهتمامات بالعودة إلى المكان الأصلي.

فتقول (ه.أ س) في العشرين من عمرها، وقريتها الأصلية أبو عمار "بصراحة لا أشعر اتجاهه بأي شيء، لأني أحب مكان سكني اللي انولدت فيه وتربيت فيه. ومشاعر محزنه تجاه هذا المكان واختلف بمشاعري عن أهلي فأبي وأمي شافو البلد وأنا مشفتهاش". أما (ع، خ) في التاسعة عشرة من العمر وأصله

من قرية المالحة فيقول " ولا إشي راحت أخذوها اليهود، سيدي بتمنى أنو ظلينا، وأنا معشتش فيها عشان هيك هي مش مهمة إلي".

وأخيرًا أظهرت النتائج فيما يتعلق بتأثير بعض متغيرات الدراسة المستقلة كالجنس، ومكان السكن على اهتمام الأطفال وحنينهم بالعودة إلى المكان الأصلي لعائلاتهم المهجرة. فتبين النتائج في الجدول (2) أنه توجد فروق في نسب الذكور والإناث الذين لديهم اهتمامات وحنين بالعودة لصالح الذكور، حيث كان 92.3% من الذكور لديهم اهتمامات وحنين بالعودة مقابل 79.2% من الإناث.

أما بالنسبة لتأثير مكان السكن على اهتمامات وحنين الأطفال بالعودة، فتظهر النتائج في الجدول (2) إلى أنه توجد فروق في نسب الأطفال الذين يعيشون في المخيم والأطفال من خارج المخيم الذين لديهم اهتمامات وحنين بالعودة لصالح الأطفال من خارج المخيم، حيث كان جميع الأطفال من خارج المخيم (100%) لديهم اهتمامات وحنين بالعودة مقابل 81.6% من أطفال المخيم.

وبخصوص فحص الفرضية النظرية التي تدعي بأنّ الحنين للعودة يزداد نتيجة الأوضاع الاقتصادية السيئة للاجئين، تظهر النتائج أن غالبية الأطفال وعلى اختلاف مستوياتهم الاقتصادية لديهم اهتمامات وحنين للعودة. حيث إن جميع الأطفال 100% من ذوي الأوضاع الاقتصادية الجيدة والغالبية 79.4% من الأطفال ذوي الأوضاع الاقتصادية المتدنية لديهم اهتمامات وحنين للعودة (انظر الجدول 2) وبذلك نرفض الافتراض النظريّ الذي يدّعي بأن الحنين إلى العودة يزداد نتيجة الأوضاع الاقتصادية السيئة للاجئين. وذلك لأنّ الدراسة أظهرت أنّ غالبية عائلات اللاجئين سواء من ذوي الأوضاع الاقتصادية المتدنية أو الجيدة لديهم اهتمامات وحنين بالعودة إلى المكان الأصلي. وتتفق نتائج هذه الدراسة مع دراسة عويضة (1998) والتي أظهرت أن جميع اللاجئين " الأغنياء والفقراء" سينفذون حق العودة للمكان الأصلي.

5- اهتمامات العائلة بالعودة للمكان الأصلي:

من إجل التعرف إلى المواقف والتوجهات السياسية والاجتماعية التي تحملها عائلات الأطفال تجاه العودة للمكان الأصلي، وللتعرف إلى مدى أثر اهتمام الأهل بالعودة على أطفالهم. سألت الأطفال عن اهتمامات العائلة نحو العودة إلى المكان الأصلي. وقد أظهرت النتائج أن الغالبية العظمى (82%) من الأطفال المبحوثين قالوا إن عائلاتهم مهتمة بالعودة إلى المكان الأصلي، و4 % منهم فقط أشاروا إلى أن عائلاتهم غير مهتمة بالعودة، ولكن هنالك 14% منهم لا يعرفون إذا ما كانت عائلاتهم تود العودة (انظر جدول 1).

وتتمثل اهتمامات تلك العائلات بالمشاركة السياسية والاجتماعية نحو المواضيع التي تُعنى بشؤون اللاجئين الفلسطينيين وحقهم بالعودة إلى القرى والبلدات التي عاش فيها آباؤهم. أيضًا، تبرز اهتمامات العائلات عبر استرجاع ماضي القرية، والإصرار على العودة. وهذه بعض الاقتباسات للأطفال الذين قالوا إن أهلهم مهتمون بالعودة للمكان الأصلي.

فتقول (أ، ع) في التاسعة عشرة من العمر وأصلها من قرية رأس أبو عمار " أبوي وأمي دايماً بيقولوا عليوم أنوا نكون في بلادنا، راح يكون مستقبلنا وحياتنا أحسن من المخيم". أما (م) في الخامسة عشر من العمر وأصله من قرية بيت نتيف " أهم أشي أنو أسرتي بتهتم بالعودة، وأنها يوم ما بيصير فرح أو حزن الكل بيروح باسم بيت نتيف وباسم عيلتنا اللي معروف أصلها من هناك، وأبوي في عنده اهتمامات بالسياسة، وبيحكي أنو حياتنا عن قريب أو بعيد راح يصير إلها حل، وأنو رايحين نرجع على البلاد". ويقول (أ، ن) في السابعة عشرة من العمر ومن سكان قرية جلية "كان عند سيدي أبو أبوي الله يرحمهم أمل بالرجوع لمكانا الأصلي، وسيدي وستي كانوا كثير يحكوا عن (جلية) وبيتمنوا أنهم يرجعوا.

من الواضح، أنّ الأغلبية الساحقة من الأسر الفلسطينية (82%) في المخيم تحمل توجهات سياسية واجتماعية تعبر عن اهتماماتها بالعودة إلى المكان الأصلي. فالحنين بالعودة وعملية المثاقفة وسرد الحكايات للأبناء التي انتهجتها العائلة الفلسطينية تعبر عن التماسك والترابط والولاء "لمسقط الرأس" وأرض الجدود في فلسطين التاريخية. وهنا يمكن القول إن المكان الأصلي ليس مجرد أرض يمكن أن يتخلى أصحابها عنه، فهو جزء من هوية تواصلت وذاكرة ترسّخت عبر ثلاثة أو أربعة أجيال. وتؤكد شولز(2005 :50) على أهمية دور العائلة باستمرارية الاهتمام بحق العودة عبر الأجيال قائله: "إن دور العائلة هو الأكثر أهمية في تقديم الحكايات التي استطاعت من خلالها أن تعيد إنتاج معاني النكبة وصورة الوطن، وأن العائلة تشكل المؤسسة ذات الثقل الهام في خلق الهوية الفلسطينية، وفي الحفاظ على المجتمع الفلسطيني من التلاشي والذوبان في مشاريع التوطين."[8]

[8] لمزيد من التفاصيل حول مشاريع التوطين انظر: زياد الشولي (2007)،
من موقع: http://www.alzaytouna.net/arabic/print.php?a=48056

معرفته بمعنى حق العودة وقرارات حق العودة الدولية، واعتقاده بإمكانية وكيفية تحقيق العودة

1- اعتقاد الأطفال بإمكانية تحقيق العودة:

أما آراء الأطفال عن إمكانية العودة والوسائل التي يرونها مناسبة لتحقيق ذلك. فأظهرت النتائج أن 48% من الأطفال أجابوا بـــ "نعم"، أي توجد إمكانية للعودة إلى المكان الأصلي، بينما أجاب 34% منهم بـــ " لا"، في حين أجاب 18% من الأطفال المبحوثين بأنهم غير متأكدين من إمكانية العودة إلى المكان الأصلي في فلسطين التاريخية (انظر الجدول1). هنا النسبة التي تعتقد بإمكانية العودة قليلة نوعا ما، ويدل ذلك على ضياع الأمل عند الناس بالنسبة لقضية العودة.

ويظهر جدول رقم (1) أيضًا التصورات والآراء حول الكيفية التي يراها الأطفال المبحوثون أنّها مناسبة لتحقيق العودة إلى الأماكن الأصلية. ورأى 24% من مجموع 54% من الأطفال الذين أجابوا بنعم وغير متاكدين[9] على إمكانية تحقيق العودة أن استخدام القوة؛ تحرير فلسطين بالمقاومة كإمكانية لتحقيق العودة إلى المكان الأصلي، واعتبر 18% منهم بأن توحد الفصائل الفلسطينية ككيفية لتحقيق العودة، في حين رأى 10% منهم أن التمسّك بالعودة والصمود بأرض فلسطين هو السبيل المناسب للرجوع إلى المكان الأصلي.

ويعاني الفلسطينيون عامة، واللاجئون خاصة، من اليأس والإحباط نتيجة للظروف السياسية التي يعيشونها. فعلى الرغم من مرور ما يقارب ستة عشر عامًا على اتفاقية أوسلو في عام 1993، إلاّ أن مشكلة اللاجئين الفلسطينيين –وقضايا أساسية أخرى لسنا بصدد الغوص فيها– لم تجد طريقها إلى الحل، بل على العكس من ذلك فقد تأزم الوضع السياسي وانتهجت إسرائيل خلالها أبشع الوسائل وأعنفها منذ النكبة، فعززت سيطرتها على المكان الفلسطيني بقوة السلاح والقتل والتدمير، وأقامت الجدار الفاصل، وصادرت المزيد من أراضي السكان وخاصةً الفلاحين منهم في الضفة الغربية، وأقامت العديد من المستوطنات على "المكان الفلسطيني"، والذي هو بحسب ساري حنفي (2009: 71) "مستهدف إسرائيلياً في الصراع الفلسطيني– الإسرائيلي". إضافةً إلى ذلك، فإنها (إسرائيل) ما زالت تحتجز ما يقارب سبعة آلاف معتقل، وتحاول بوتيرة عالية الاستيلاء على المقدسات الإسلامية والمسيحية وتهويدها وذلك في محاولة منها لتطويع الفلسطينيين وتركيعهم، لئلا يطالبون بحقوقهم الأساسية المشروعة تاريخيا، وفي مقدمتها حقهم "المقدس" بالعودة إلى بيوتهم وقراهم الأصلية بفلسطين التاريخية.

---

[9] لابد من الإشارة هنا، أن 6% من الأطفال الذين كانت إجاباتهم "غير متأكد" قدموا آراءهم نحو إمكانية تحقيق العودة.

أيضاً يعتقد بعض الأطفال أن السبيل الوحيد للرجوع إلى المكان الأصلي–الذي هو في مخيلة اللاجئين– يكمن في المقاومة أو الكفاح المسلح، أي استخدام القوة العسكرية ضد "الإسرائيليين". من هنا هذا الموقف يتماشى مع الطرح الذي يؤكد على" أن المقاومة الفلسطينية تعد وسيلة فعالة لمكافحة انتهاك الحقوق الإنسانية للشعب الفلسطيني. فقضايا التسوية وما رافقها من تفاهمات فلسطينية إسرائيلية عديدة لم تجد نفعا، لكونها لم تأخذ قضية اللاجئين الفلسطينيين بعين الاعتبار، ولم تمكنهم من العودة ومن الحق في تقرير مصيرهم على أراضيهم الأصلية" (نافع، 2006: 181). "فالمكان الأصلي قد لعب دورًا حيويًا في النضال الفلسطيني" (Gupta and Ferguson, 1992:16).

من الممكن أن نعزو نزوع الأطفال نحو استخدام القوة ضد الصهاينة لإمكانية تحقيق العودة، إلى عدم الثقة بنتائج التفاوض،[10] أو بمعنى آخر، هو عدم رضاهم عن عملية السلام التي جرت وما زالت تجري بين الصهاينة والقيادة الفلسطينية، ويرون أنها مفاوضات عبثية لا قيمة لها،وهي لم تحقق للشعب الفلسطيني أي شي يذكر. لابد من الإشارة هنا، إلى أنه لم يذكر أحد من الأطفال المبحوثين التفاوض مع الإسرائيليين كآلية لإمكانية تحقيق العودة. وهذه بعض الاقتباسات من أقوال الأطفال الذين ذكروا المقاومة والكفاح المسلح سبيلا لتحرير قراهم ومدنهم الأصلية والعودة إليها.

تقول (أ، ع) في السابعة عشرة من العمر، وأصلها من قرية عجور" بأنه توجد إمكانية للعودة إذا تحررت (أي فلسطين) بالقوة، لأنو السلام بينفعش معهم، مع اليهود، لأنهم بيحكوا عن السلام ولهلاء ما أرجعنا لبلادنا". ويقول (خ) في الخامسة عشر من العمر وأصله من قرية علار " نعم في إمكانية للعودة، ولكن ليس بالوقت الحالي، لأنو اليهود بينفعش معهم غير القوة، أخذوا بلادنا بالقوة ولازم نستردها بالمقاومة (القوة)". [11]

و يرى عادل سمارة (2000: 80) في كتابه "اللاجئون الفلسطينيون بين حق العودة واستدخال الهزيمة" إلى أن الشعب الفلسطيني ولاجئيه في شتى أماكن وجودهم في الوطن والشتات، قد أكدوا على تمسكهم بمقاومة الاحتلال الصهيوني وحق العودة. وتؤكد هلينا شولز (2005: 41) أن الاقتلاع من المكان الأصلي يعني من بين معانيه أن هنالك مسًّا بالعدالة التي لا بد من استعادتها بشكل أو بآخر. ويذكر هنا أنه كلما تقادم الزمن وتأخر تنفيذ حق العودة يزداد اشتداد الحزن وشعور الضحية الأمر الذي يحفز الإنسان للانخراط بسياسات المقاومة، وتصبح عتبة الشعور بالظلم نقطة تحول لا مفر منها، وتبع ذلك تعزّز أيديولوجيا الكفاح المسلح والثورة لتصبح الخيار الوحيد والأساس للعودة.

---

[10] لمزيد من التفاصيل حول عملية المفاوضات بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي، اطلع على المقالة التحليلية لحامد الدباس (2009) على موقع الجزيرة نت: http://www.aljazeera.net/NR/exeres/C03D50F8-9159-4130-82E7-2884EC007D9F.htm

[11] هذه المقولة شبيهة بتلك التي أطلقها الزعيم المصري جمال عبد الناصر "ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة".

في حين أشار رشيد الخالدي (1992) "بأن فكرة العودة في الخطاب الثوري الفلسطيني حتى العام 1968 كانت قائمة على تحرير كامل فلسطين. ففي هذه المرحلة، لم يفكر الفلسطينيون إلا قليلاً في التسوية أو في الحلول الدبلوماسية؛ إذ كانوا ببساطة يتصورون العودة إلى ما كان عليه الحال قبل 1948، عن طريق تدمير إسرائيل وإعادة قيام فلسطين العربية، وبدأ الافتراض أن الفلسطينيين يعودون إلى فلسطين عند تحريرها وبأي وسيلة". ينبثق هذا التفكير الذي عرضه رشيد الخالدي ضمن "نظرية التحرير"، والتي ترى أن دولة إسرائيل كيان غير شرعي، وبالتالي فإن دولة كتلك لا تملك أساساً شرعياً تستطيع بوساطته معارضة عودة الفلسطينيين (تاكمبرغ، 2003: 303– 304).

بينما رأى عدد آخر من الأطفال (18%)، أن توحّد الفصائل الفلسطينية هو السبيل إلى إخراج اليهود وطردهم من القرى والمدن الفلسطينيّة الأصلية المحتلة، وقد سوّغوا ذلك بأن الانفصال والاقتتال الداخلي، والتنازع بين الفصائل الفلسطينية (حركتي فتح وحماس) له أهمية في تعزيز الجبهة الداخلية للفلسطينيين، خاصة أنّ العدو الأبرز هم "الصهاينة"، وكأنّهم يقولون: إن الانقسام والاقتتال الداخلي الذي حدث، إنما يشكل خطورة على مسيرة التّحرر الوطني الفلسطيني.

فيقول (أ، ل) في السادسة عشرة من العمر وأصله من قرية زكريا " إن شاء الله في الوقت هاد صعب. في المستقبل أو الجيل اللي بيجي بعدنا، وإن ظلينا على الحال بتقاتل فتح وحماس، وناسين الاحتلال وأنو عدونا إسرائيل، وصارت حماس عدو فتح الأول". ويقول (م، ك) في الخامسة عشر من العمر وأصله من قرية قطرة "أه متأمل أنو نرجع على بلدنا، نصير فصائل متوحدة مع بعض، ويسوه حل ويلطعو إسرائيل، لأنها مش بلدهم، والناس تتقرب لبعض أكثر".

أما بالنسبة للذين اعتقدوا بعدم إمكانية العودة (أجابوا بـــ لا)، فهم يشكلون نسبة معقولة، وهي 46% من الأطفال المبحوثين، والجدول رقم (1) يظهر الإجابات المختلفة لـــ 46% من الأطفال الذين أجابوا بـــ "لا"، وهم غير متأكدين من إمكانية تحقيق العودة.[12] فكان 14% من المبحوثين الذين لا يعتقدون بإمكانية العودة، أكدوا أن القوة العسكرية "للإسرائيليين" ستعيق إمكانية العودة، في حين قال 8% أن "إسرائيل" لن تسمح بعودة اللاجئين لأماكنهم الأصلية، ولا يعتقد 8% منهم بإمكانية العودة؛ لأن معالم المكان الأصلي قد تغيرت، وأصبح فيها سكان "يهود". وتتفق نتائج هذه الدراسة مع ما أكدته دراسة عدوان (2010) من أن "إسرائيل" لن تسمح للاجئين الفلسطينيين بالعودة إلى داخل ما يعرف بالدولة "الصهيونية"، وهي تقترح الحل بعيداً عن دولة "إسرائيل".

---

[12] لا بد هنا من التوضيح أن 12% من الأطفال الذين كانت إجاباتهم "غير متأكد" قدموا آراءهم نحو عدم إمكانية تحقيق العودة.

رأى بعض الأطفال المبحوثين أن "الإسرائيليين" أقوى عسكرياً، وهم يمتلكون الوسائل والأجهزة القتالية والعسكرية التي تجعلهم يتفوقون على المقاومة الفلسطينية من هذه الناحية، وقد عززت الحرب "الإسرائيلية" على قطاع غزة في أواخر العام 2008 من هذه التوجهات. وهذه بعض الاقتباسات من أقوال الأطفال الذين لا يعتقدون بإمكانية العودة إلى المكان الأصلي:

يقول (م،ح) في السابعة عشرة من العمر، وأصله من قرية علار "لا متوقعش أنوا إحنا نرجع، في غزة منتصروش عليهم، هان بدنا ننتصر ونطرد اليهود، صعب". بينما تقول (أ،ع) في التاسعة عشر من العمر، وأصلها من قرية أبو عمار " لا اعتقد أنو يتحقق ذلك (أي العودة)، لأنو إسرائيل أقوى منا، وإحنا ضعاف مش زيهم".

في حين أعرب بعض الأطفال عن حقائق واقعية، تتمثل في عدم سماح "إسرائيل" بعودة أي لاجئ فلسطيني إلى قريته أو مدينته الأصلية عام 1948.

وتقول (ل، ر) في السابعة عشرة من العمر، وأصلها من قرية المالحة بخصوص اعتقادها بإمكانية تحقيق العودة "لا قليل الاحتمال بسبب الاحتلال، وهما مش رايحيين يسمحولنا ندخل على الأراضي ونعيش فيها". أما (أ، ك) في السادسة عشر من العمر، وأصلها من قرية بيت نتيف فتقول: " لأ، لا توجد إمكانية للعودة، لأنو اليهود احتلوها، وإذا أرجعنا راح اليهود يطردونا منها".

قامت إسرائيل في العام 1948 بعمليات تطهير عرقي [13] واسعة وذلك بهدف الاستيلاء على معظم القرى والمدن الأصلية. وحولت "إسرائيل" تلك القرى والمدن إلى أماكن "يهودية"، وأقامت على أنقاض تلك القرى والمدن الأصلية مستوطنات "يهودية"، وغيرت أسماء القرى والمدن الأصلية إلى أسماء عبرية.[14] من هنا، فالأجيال الحديثة ترى في هذه العوامل معيقات نحو إمكانية تحقيق العودة.

فيقول (ع،ع) في الثامنة عشرة من العمر، وأصله من قرية القبو "لا فش إمكانية للعودة لأن اليهود أخذوا البلاد والمنازل". أما (أ،ع) في التاسعة عشر من العمر، وأصلها من قرية صرعة فتقول: " لا بالتأكيد لا توجد المكانية للعودة لأنوا بيدين اليهود والاحتلال. أي أنو البلاد ساكنين فيها اليهود، وهما أقوى منا كمان".

نستنتج من إجابات 46% من الأطفال المبحوثين، أن"إسرائيل"هي العائق الرئيسي في عدم تحقيق العودة للاجئين الفلسطينيين. فالاحتلال "الإسرائيلي" مستمر في الأراضي الفلسطينية، والدولة "العبرية" منذ نشأتها سيطرت عسكريًا على القرى والمدن الأصلية، وأخلت سكانها بالكامل، ومنعتهم تحت تهديد السلاح والمذابح من العودة إليها، وهي ما زالت تمعن بهذه السياسة وترفض بشكل قاطع عودة أي لاجئ فلسطيني إلى إطار ما يعرف الآن بدولة "إسرائيل". وكما تجدر الإشارة هنا إلى أن "إسرائيل" ما زالت تصر على عدم الاعتراف

---

[13] ورد تعريف التطهير العرقي في موسوعة "هاتشينسون (Hutchinson) "على أنه طرد بواسطة القوة لأجل إيجاد تجانس عرقي في إقليم أو أرض متعددة الأعراق. والهدف من هذا الطرد يكمن في ترحيل أكبر عدد ممكن من السكان، باستخدام وسائل مختلفة" (أيوب، 2008: 27).

[14] للاستفاضة حول هذا الموضوع، انظر: عبد الكريم، إبراهيم، 2001. تهويد الأرض وأسماء المعالم الفلسطينية. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.

ولو أخلاقياً بالجريمة التاريخية التي اقترفتها بحق السكان الفلاحين والمدنيين الأصليين. لذلك تركزت إجابات الأطفال الذين قالوا بعدم إمكانية تحقيق العودة حول مؤشر القوة العسكرية "للإسرائيليين"، ثم عدم سماح "إسرائيل" للاجئين بالعودة لأمكنتهم الأصلية، ثم تغير معالم المكان الأصلي/ وجود سكان "يهود".

وأخيراً بيّنت النتائج بخصوص أثر متغير الجنس على الاعتقاد بإمكانية العودة في الجدول (2) أنّه توجد فروق في نسب الذكور والإناث الذين يعتقدون بإمكانية تحقيق العودة لصالح الذكور، حيث إن 53.8% من الذكور يعتقدن بإمكانية تحقيق العودة مقابل 41.7% من الإناث، وكانت إجابات الإناث في هذا الاتجاه أكثر تشاؤمية إذ رأوا أن هنالك صعوبة في تحقيق العودة للمكان الأصلي. ولعل أحداث الحرب على غزة والانقسام الفلسطيني الذي كان في ذروته في وقت إجراء البحث قد أثر على توجهاتهن وآمالهن نحو إمكانية العودة للمكان الأصلي.

أما بالنسبة لأثر متغير مكان السكن، فأظهرت النتائج في الجدول (2) إلى أنه توجد فروق في نسب الأطفال الذين يعيشون في المخيم والأطفال من خارج المخيم الذين يعتقدون بإمكانية تحقيق العودة لصالح الأطفال الذين يعيشون في المخيم، حيث إن 92.3% من العيّنة في نسب الأطفال الذين يعيشون في المخيم يعتقدون أن هنالك إمكانية لتحقيق العودة مقابل 33.3% من الأطفال خارج المخيّم.

2- آراء الأطفال المبحوثين نحو القرار (194) [15]

يستند اللاجئون الفلسطينيون إلى القرار القانوني والدولي رقم(194) كأساس في مطالبتهم بالعودة إلى قراهم ومدنهم الأصلية. بناءً على ما سبق، سعت الدراسة التعرف إلى مدى معرفة الأطفال بالقرار، من خلال طرح السؤال الآتي" هل سمعت بالقرار (194)، وماذا تعرف عنه"؟

من بيانات الجدول رقم(1) نستنتج أن 60% من أفراد العينة سمعوا بالقرار (194)، في مقابل 40% لم يسمعوا به. وهذا يدل ولو بشكل بسيط على أن القرار (194) ما زال يلقى بظلاله بعد ما يقارب (63) عاماً من صدوره. في السياق نفسه، يرى إيليا زريق (1997: 13) أن الفلسطينيين يعدّون قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 194 (الدورة 3) قراراً مهماً جداً؛ لأنه يخص اللاجئين الفلسطينيين ويمنحهم حق العودة لمن يرغب منهم في ذلك، أو التعويض عن الأملاك لأولئك الذي لا يرغبون بالعودة. [16]

---

[15] ينص قرار الأمم المتحدة رقم 194 الصادر بتاريخ 11 ديسمبر (كانون الأول) 1948 على إنشاء لجنة توفيق تابعة للأمم المتحدة وتقرير وضع القدس في نظام دولي دائم وتقرير حق اللاجئين في العودة إلى ديارهم في سبيل تعديل الأوضاع بحيث تؤدي إلى تحقيق السلام بفلسطين في المستقبل. وفيما يلي نص البند الخاص بقضية حق العودة للاجئين الفلسطينيين في القرار: تقرر وجوب السماح بالعودة في أقرب وقت ممكن للاجئين الراغبين في العودة إلى ديارهم والعيش بسلام مع جيرانهم، ووجوب دفع تعويضات عن ممتلكات الذين يقررون عدم العودة إلى ديارهم وعن كل مفقود أو مصاب بضرر، عندما يكون من الواجب وفقاً لمبادئ القانون أن يعوض عن ذلك الفقدان أو الضرر من قبل الحكومات أو السلطات المسئولة (جيرو، 1993: 157).

[16] على الرغم من أهمية القرار 194، إلا أن إبراهيم علوش (2008) يرى أن ما نص عليه القرار ليس حق العودة بالمطلق كما يظن بعضنا، وليس التأكيد على ملكية اللاجئين للأراضي والبيوت التي توارثوها أباً عن جد، بل جاء النص دقيقاً في التعاطي مع قضية اللاجئين كقضية إنسانية، لا كقضية سياسية، وبما لا يمس مكاسب الحركة الصهيونية على الأرض. ولمزيد من التفاصيل انظر لمقالته على موقع أجراس العودة بعنوان " هل يجوز ربط حق العودة بسراب القرار 194؟ http://www.ajras.org/?page=ShowArticle&table=articles&Id=2749

وبخصوص معرفة الأطفال بنص القرار (194). فالتساؤل المطروح هنا هو: هل بالفعل تمتلك ذاكرة الأطفال المبحوثين معرفةً بالقرار (194) بعد ما يقرب على (63) عاماً من صدوره؟ هنا يتم توضيح الإجابة للأطفال الذين أجابوا بنعم عن القرار، أي فقط الذين يملكون معرفة عن نص القرار، وكانت نسبتهم 60% من مجموع الأطفال في البحث. من الجدول رقم (1) يتضح أن 12% يعرفون كثيراً عن القرار (194)، وأنّ 20% منهم يعرفون قليلاً عنه، في حين كان 22% منهم يعرفون عنه بشكل سطحي جداً.

من الواضح أن نسبة الأطفال الذي يعرفون كثيراً عن القرار هي ضئيلة جداً، وهذا يدل على عدم قدرة الأهل والمعلمين والقياديين في الحركة الوطنية لتحرير فلسطين على التواصل الواعي مع الأجيال عن القضية وتفاصيل حيثياتها السياسية. الأطفال يعرفون عن مكان سكنهم وواقعهم المهجّر بشكل عام (انظر إلى رقم 1، 3، 4، 5، 6 في الجداول 1)، ولكن عددًا قليلا منهم يعرفون عن التفاصيل السياسيّة لهذا التهجير(أيضاً، انظر إلى الجدول 1). ولكن على أي حال، فإن 60% من الأطفال سمعوا عن القرار ولديهم فكرة عنه. وهذه بعض الاقتباسات التي تظهر تفاصيل معرفتهم عن القرار:

فتعتبر (أ،ح) في السادسة عشرة من العمر، وأصلها من قرية عجور (القرار194) "هو حق العودة، والانجليز والدول الاستعمارية اطلعتوا، وهو بنص على العودة للاجئين". أما(ح،ع) في السادسة عشرة من العمر، وأصلها من قرية الولجة فتقول: "هو بيحكي عن حق العودة، وأنو لازم الناس اللي تشردوا لازم يرجعوا على بلادهم ". بينما تقول(ي، ج) في الرابعة عشر من العمر، وأصله من قرية جراش " أخذناه في المدنية "كتاب مدرسي" بيحكي عن حق العودة، وأنو بصمم على حق العودة والأمم المتحدة اصدرتوا". (م، ج) في الخامسة عشرة من العمر، وأصله من قرية عراق المنشية " بنص على حق العودة للاجئين الفلسطينيين لأراضيهم عام 1948، أراضي النكبة، بعد اجتماع الدول الغربية وسنت هذا القرار". في حين يشير (س، ع) في الثامنة عشرة من العمر، وأصله من قرية بيت جبرين "هو حق العودة للاجئين الفلسطينيين، وتعويضهم عن الخسائر اللي كبدتهم الحرب إياها في 48، اصدرتوا الأمم المتحدة ومش متذكر متى صدر".

وخلاصة القول، إن مستوى معرفة الأطفال المبحوثين بالقرار (194)، هي نسبة مقبولة نوعاً ما، إذا ما قورنت وقيست بنتائج لدراسات ميدانية أخرى، فمثلاً وجدنا بدراسة الحولي (2009) والتي أجريت على طلاب السنة الرابعة في جامعات قطاع غزة والذين تراوحت أعمارهم من 22 سنة فما فوق، أن 20.9% فقط من طلبة الجامعات الفلسطينية في قطاع غزة لديهم معرفة بالقرار (194) الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة، وهي نسبة ضعيفة، إذا ما قارناها بنتائج الدراسة الحالية، والتي أظهرت أن 60% من أفراد العينة لديهم معرفة بالقرار (194)، إلّا أنه وبشكل عام لاحظنا أن الأطفال يعرفون مسبقاً ولو بشكل بسيط أن القرار (194) هو قرار حق العودة المعترف به دولياً. هذا يدل على مدى الاهتمام الذي كونه الأطفال

نحو مسألة حق العودة. لكن مع هذا القدر المعقول من الاهتمام والمعرفة بالقرار الدولي بحق العودة، تبقى نسبة مهولة من الأطفال الذين ليس لهم معرفه عن القرار أو معرفة جيدة عن محتوى القرار، ومن ثمّ هنالك حاجة إلى تنمية الجوانب السياسية والمعرفية عن التهجير ومسألة حق العودة من قبل الأهل والقياديين السياسيين في الحركة الوطنية الفلسطينية.

3- تعريف الأطفال لحق العودة [17]

طرح السؤال الآتي على الأطفال "ماذا يعني لك حق العودة؟ " شو بيعنيلك حق العودة"، وذلك من أجل التعرف إلى معرفة الأطفال المبحوثين حول ماهية مفهوم حق العودة، وآرائهم تجاهه. تبين نتائج الدراسة في الجدول (1) أن 52% من الأطفال المبحوثين أكدوا بأن حق العودة يعني الرجوع للمكان الأصلي. في حين رأى 20% أنه حق "مقدس" وديني، بينما 10% قال إنه يعني الرجوع إلى فلسطين التاريخية بدون تحديد المكان الأصلي الذي كان أجدادهم يعيشون فيه أو لأملاكهم التي انتزعت منهم، و 6% اعتبروا بأنه يشمل اللاجئين الفلسطينيين في الداخل والخارج، وفقط 2% أجابوا بأن حق العودة يعني الرجوع إلى البلد الأصلي مع التعويض عن الخسائر.

عندما نتحدث عن حق اللاجئين الفلسطينيين بالعودة فهذا يعني وبالتأكيد وجود وطن لهؤلاء اللاجئين يسمى فلسطين، أجبروا على مغادرته بوسائل شتى من الإرهاب والقتل والطرد ومصادرة الأراضي، وغير ذلك من الوسائل الهمجية التي ترفضها الشرائع الدولية كافة (شاهين، 2005: 61).

نستنتج من المقابلات، أن غالبية الأطفال المبحوثين يرون أنّ حق العودة يعني رجوع اللاجئين الفلسطينيين أينما كانوا إلى أراضيهم وممتلكاتهم وقراهم التي هجّرت منها عائلاتهم في فلسطين التاريخية. ولحق العودة أهمية بالغة في نظر الغالبية من اللاجئين الفلسطينيين. وفي هذا الإطار، يرى عالم الاجتماع الفلسطيني ساري حنفي (2007: 15)، أن حق العودة ضروري لأولئك الذين أُكرهوا على العيش ثلاثة وستين عاماً غرباء محرومين من الحقوق الأساسية في مخيمات بئيسة في دول لم تحتضن بعضهم دائماً بالترحاب. وهذه بعض الاقتباسات للأطفال لما يعنيه حق العودة لهم (معرفتهم عنه):

وتقول (أ، ح) في السابعة عشرة من العمر، وأصلها من قرية بيت نتيف، حول السؤال "ماذا يعني لك حق العودة؟" (شو بيعنيلك حق العودة) "بيعني أنو نرجع لبلدنا الأصلي، وترجع أرضنا إلنا، ونرجع نعيش زي كل الناس. مثلاً بره الناس بيعيشوا في بلادهم الأصلية ومفش حدا هجرهم منها".

---

[17] في الإطار ذاته يرى رشيد الخالدي (1992) بأنه "لا يوجد تعريف فلسطيني مرجعي يمكن الرجوع إليه لما يتألف منه حق العودة. فمنذ طرد الفلسطينيين عام 1948، اتخذ حق العودة الكثير من المعاني التي تراوحت بين حق جميع الفلسطينيين والمنحدرين منهم في العودة إلى ديارهم السابقة وأماكنهم الأصلية في فلسطين التاريخية، وبين عودة بعض الموجودين حالياً بالمنفى إلى جزء محدد من فلسطين (تاكمبرغ، 2003: 303- 304).

بينما يقول (م، ج) في السابعة عشر من العمر، وأصله من قرية المالحة "أنوا الواحد يرجع لبلدوا الأصلي، مكان أجدادوا اللي كانوا عايشين فيها، وأنو يرجع للجيران والناس اللي كانوا عايشين في البلد" أما (غ، ا) في السادسة عشرة من العمر، وأصلها من مدينة حيفا "حق العودة بيعنيلي أنو أراضينا ملكنا، وجذورنا من هناك وأنوا ما نتنازل عن أراضينا".

في حين يشير (ع، د) في الرابعة عشرة من العمر، وأصله من قرية بيت جبرين "رمز من رموز الحياة، وبيرمز للمفتاح، والعودة هي حق إلنا، وبيتحدث عن العودة لكل الفلسطينيين اللي هجروا من أراضيهم". (ح) في العشرين من العمر، وأصلها من قرية دير أبان تقول: "بيعنيلي إشي كبير، الرجوع لحيانتا الأصلية، وعشان ما يكون اسمنا لاجئين، وهو أنو اللاجئ بتهجر من بلدوا الأصلي، مش زي واحد بيظل في بلدوا، ومرات في نقاشات أنا وصحباتي، وبشعر بنقص أني لاجئة، أني تهجرت من بلدي، وبشعر أني غريبة عشان تهجرنا من بلدنا".

هكذا يتضح لنا، أن هنالك عدة معلومات مختلفة قدمها الأطفال حول مفهوم حق العودة ولما يعنيه لهم. إلا أنه بالرغم من ذلك، تبين النتائج أن هنالك أقلية من الأطفال عبروا عن مفهوم حق العودة بشكل واضح. و

وقد ربط معظم الأطفال المبحوثين حق العودة بالمكان الأصلي وبقدسية هذا الحق،دون ذكر أي تفاصيل أخرى تتعلق على سبيل المثال باستعادة الأملاك، أو مطالبة ذرية اللاجئين وأبنائهم بالعودة. على أي حال، من المفارقات الإيجابية التي تعزز من قوة حقّ العودة للمكان الأصلي في ذاكرة الأطفال، أن الدراسة لم تجد أحدًا من الأطفال يعبّر عن مفهوم حق العودة بأنه عودة للاجئين إلى مناطق السلطة الفلسطينية.

جهات مصدر التوعية بحق العودة والمكان الأصلي:

1- الجهة (المصدر) التي عرّفت الأطفال المبحوثين بالحياة في المكان الأصلي

يشير كناعنة ومحاميد (1987)، إلى "أنه وبعد سنوات قليلة سيكون السّكان الذين هجّروا من القرى والمدن الأصلية وهم في سن النضوج قلة يصعب العثور عليهم، ومع ذلك الجيل ستضيع المعلومات عن تلك القرى وستصبح مجرد أسماء على الخرائط القديمة" (عمرو، 2007: 8). من هنا، كان من أهداف الدراسة، التعرف إلى أكثر المصادر التي استقى المبحوثون منها معرفتهم (معلوماتهم) عن الحياة في المكان الأصليّ.

أوضحت نتائج الدراسة في الجدول (1) أن 48% من المبحوثين تعرفوا إلى حياة الأسرة، البيت، البلد، المزارع في المكان الأصلي عبر أجدادهم، في مقابل 30% منهم عبر آبائهم، بينما 10% منهم عن طريق الأقارب. وتتفق الدراسة الحالية مع دراسة نارمين عيسى (2004) التي أجريت على عينة غير عشوائية من الأطفال من عمر(7 – 15) سنة، والتي بينت فيها أن وجود الجد والجدة في بيت العائلة هو أمر ضروري ومهم لتزويد الأطفال بمعلومات حول أصلهم وذكرياتهم التفصيلية لما حدث في القرية الفلسطينية قبل النكبة. وأيضاً تتفق النتائج إلى ما توصلت إليه دراسة الزبن (2007) والتي استخدمت فيها عينة غير عشوائية مكونة من (7) أشخاص من أبناء الجيلين الثاني والثالث للنكبة الذين يقيمون في مخيم الجلزون / رام الله حيث بينت الباحثة أن الجيل الثالث للنكبة يحمل وعيًا سياسيًّا بالقضية الوطنية، نتيجة التأثير المباشر للمكان (المخيم) من جهة، ولما يحملونه من ذاكرة الآباء والأجداد من جهة أخرى، وهو ما يؤكد حضور القضية الوطنية عموماً وقضية اللجوء خصوصاً وهذا يبرز مناعتها من الذوبان.

يلعب الأجداد والآباء دوراً أساسياً في نقل الرواية الشفوية عن واقع الحياة في القرى والبلدات الأصلية؛ وذلك من أجل الحفاظ على الذاكرة والهوية الوطنية وإبراز معاناتهم، وتوثيق صلاتهم بأمكنتهم الأصلية، وذاكرتهم وذاكرتها، تعبيرًا عن رفضهم للواقع المعيش، ومحاولة لتذكير أبنائهم وأحفادهم بماضيهم الأفضل، عندما كانوا في أوطانهم وديارهم يملكون الأرض ويزرعونها، وهي حالة نكوصية مرتبطة بالصدمة التي تعرض لها الفلسطينيون بعد النكبة (عيون السود، 2008: 1).

في دراستي هذه، تبين أنّ الجدّ والجدّة حصلوا على الترتيب الأول في تزويد أحفادهم بمعلومات عن المكان الأصلي (عن واقع الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية) بينما كان الأب والأم في المرتبة الثانية (انظر الجدول1)، وهذا يعني أن الأهل استطاعوا أن يمنحوا أبناءهم الشعور بوطنهم الأصلي، وتذكيرهم بالوطن المسلوب، وحقهم الشرعي بالعودة إليه في يوم من الأيام. فنحن بوصفنا لاجئين تعودنا دائماً أن

نسمع من أجدادنا وآبائنا عن حكايات القرية، وكيف كانت حياتهم الاجتماعية والاقتصادية وعاداتهم وتقاليدهم فيها، فهم رسموا لنا صورة الأرض والقرية، ونحن ما زلنا نحتفظ بها في مخيلتنا حتى الآن. وتؤكد هلينا شولز(42: 2005) أن التشكيلات الجغرافية وطبيعة المناظر الطبيعية للأرض وتوزيعاتها في فلسطين، تمثل مكاناً يشعر به الفلسطيني بشدة ويخبره بعاطفة حميمية لأولاده وأحفاده. ونستنتج من ذلك أن الأهل – الأجداد والآباء– يلعبون دورا مباشرا في إبقاء الذكريات حية عند الأطفال عن المكان الأصلي. كما أن هنالك ارتباطًا وثيقًا بين الاهتمام بالماضي والحنين إلى المكان الأصلي وإحياء الذكريات في نفوس الأبناء والأحفاد.

أبرز ما سجّلته من ملاحظات على ما ورد في المقابلات هو قيام الأجداد والآباء بنقل حكايات القرية/البلدة الأصلية وسرد واقعها الاجتماعيّ والثقافيّ كالعلاقات الاجتماعية بين أفراد القرية الواحدة والعادات والتقاليد، والشعور بالراحة النفسية وبساطة العيش، كما قاموا بنقل وتصوير الواقع الاقتصادي والمادي وملكيتهم للأرض عبر إبراز الواقع المعيشي اليومي، والاعتماد على النفس في توفير متطلبات البيت والحياة، فالأرض كانت في نظرهم مصدر الرزق التي فقدوها رغماً عنهم. وتتفق هذه النتائج مع ما بينته نينا قرين Nina Gren (2002) من أنّ الأجيال الكبيرة تحاول عبر سرد القصص حول المنزل وفقدان القرية الأصلية نقل المعرفة والانتماء إلى ذاكرة الأجيال الحديثة للعائلات اللاجئة(Gren, 2002: 7).

يشير أحمد سعدي (2006: 12) في مقالته "الذاكرة والهوية" في هذا الإطار إلى "أن الذاكرة وحدها كانت قادرة على إنقاذ اللاجئين الفلسطينيين من الاغتراب ومن الافتراق عن الذات، لهذا اكتسبت الحكايات والكتابات عن المكان الأصلي الموصوفة سابقاً، معناها، فهي تستهدف الحفاظ على نوع من الماضي السليم والطاهر". وتتشابه روز ماري صايغ (1998) مع ما أشار إليه أحمد سعدي سابقاً، من أنه يمكن اعتبار كتابة تاريخ المكان الأصلي والمخيم في السنوات الأخيرة محاولة لاستعادة هذه الأمكنة التي اختفت فعلياً بسبب الهدم أو النسيان ولو استعادة نصية، وهذه المحاولة تخلق مكاناً لتجارب اللجوء التي كان من الممكن أن تمحى كلياً (عمرو، 2007: 55).

2–الجهة/المصدر التي سمع منها الأطفال عن مبدأ حق العودة:

أظهرت نتائج الدّراسة الموضحة في الجدول (1)، أن جميع الأطفال المبحوثين 100% سمعوا عن حقّ العودة للاجئين الفلسطينيين، حيث إن 56% منهم قد سمع من جهات مختلفة (مصدر)، و 30% منهم سمعوا عنه من أهلهم (الأب والأم والإخوة والجد والجدة). وتتفق نتائج الدراسة الحالية مع ما توصلت إليه دراسة الحولي (2009) من أن 95.5% من طلبة الجامعات الفلسطينية في قطاع غزة قد سمعوا عن حق العودة.

تلعب وسائل التنشئة الاجتماعية كالأسرة، والمدرسة، والمحيط الاجتماعي دوراً هاماً في نقل وإكساب الوعي السياسي لأفرادها. من هنا، توضح نتائج المقابلات أن غالبية الأطفال قد سمعوا عن حق العودة من أكثر من جهة (مصدر)، وهذه بعض الاقتباسات التي أوردها الأطفال في المقابلات:

تقول (أ، ح) في السابعة عشرة من العمر، وقريتها الأصلية بيت نتيف " أسمعت عنو من أهلي أمي وعمي وسيدي وستي ومن المدرسة في كتاب الوطنية وكتاب التاريخ". أما (ض، ز) في الخامسة عشر من العمر، وقريتها الأصلية بشيت فتقول: " مين ما بيحكي عنو، وأسمعت عنو من أبوي وأمي وخواتي وعمامي، الجيران، الكل بيحكي عنو حتى وسائل الإعلام".

لقد بيّنت نتائج الدّراسة أنّ للعائلة دورًا مهمًا في نقل المفاهيم والمبادئ والرموز الوطنية، كمبدأ حق العودة للاجئين الفلسطينيين:

فتقول (ح) في الرابعة عشرة من العمر، وقريتها الأصلية دير أبان بأنها سمعت عن حق اللاجئين الفلسطينيين بالعودة " من أجدادي ستي وسيدي ومن حد ما أكبرت سمعت عن الوطن، وكيف سلبوا منا وأخذوه اليهود. أما (م) في الخامسة عشر من العمر، وقريته الأصلية بيت نتيف فيقول: " أسمعت عنو من أبوي وأهل الدار".

هكذا يتبين لنا، أنّ حق العودة بوصفه مفهومًا سياسيًا– تاريخيًا له رمزية خاصة في ذاكرة الأطفال المبحوثين، وقد علق Peretz (1993) على مكانة "حق العودة" وأهميته بالنسبة للفلسطينيين منذ سنة 1948، قائلاً:

> "اكتسب حق العودة دلالات عاطفية بلغت من الأهمية حداً جعل منه أساساً للشعور الوطني الفلسطيني بالطريقة نفسها تقريباً التي أصبحت العودة إلى "أرض إسرائيل" أساساً للصهيونية، نفذ مفهوم حق العودة إلى الأدب الفلسطيني المعاصر، وهي دائماً الفكرة الأولى التي يُعبّر عنها الفلسطينيون العاديون لدى مناقشتهم مشكلات الشرق الأوسط. فحق العودة بالنسبة إلى الكثيرين رمز يمتاز بأهمية خاصة، والاعتراف به يزيل وصمة مواطنيه" (تاكمبرغ، 2003: 29)

الجدول 2.

الرقم	المتغيرات				المجموع
1	المعرفة بموقع المكان الأصلي / الجنس	نعم (يعرف)	لا (لا يعرف)		
	ذكر	22 %84.6	4 %15.4		26 %52.0
	أنثى	14 %58.3	10 %41.7		24 %48.0
	المجموع	36 %72.0	14 %28.0		50 %100.0
2	المعرفة بموقع المكان الأصلي / مكان السكن	نعم (يعرف)	لا (لا يعرف)		
	أطفال المخيم	26 %68.4	12 %31.6		38 %63.0
	الأطفال من خارج المخيم	10 %83.3	2 %16.7		12 %37.0
	المجموع	36 %72.0	14 %28.0		50 %100.0
3	الاهتمام بالعودة / الجنس	غير مهتم	قليل الاهتمام بالعودة	مهتم بالعودة	
	ذكر	1 %3.8	1 %3.8	24 %92.3	26 %63.0
	أنثى	4 %16.7	1 %4.2	19 %79.2	24 %37.0
	المجموع	5 %10.0	2 %4.0	43 %86.0	50 %100.0
4	الاهتمام بالعودة / مكان السكن	غير مهتم	قليل الاهتمام بالعودة	مهتم بالعودة	
	أطفال المخيم	5 % 13.0	2 % 5.3	31 % 81.6	38 %76.0
	الأطفال من خارج المخيم	0 % 0	0 % 0	12 % 100	12 %24.0
	المجموع	5 % 10.0	2 %4.0	43 %86.0	50 %100.0
5	الاهتمام بالعودة / الوضع الاقتصادي	غير مهتم	قليل الاهتمام بالعودة	مهتم بالعودة	
	متدني/رديء	5 %14.7	2 %5.9	27 %79.4	34 %68.0
	متوسط	0 %0	0 %0	4 %100	4 %8.0
	جيد	0 %0	0 %0	10 %100	10 %20

	ممتاز	0 %0	0 %0	2 %4.0	2 %4.0
	المجموع	5 %10.0	2 %4.0	43 %86.0	50 %100.0
6	إمكانية العودة / الجنس	لا	غير متأكد	نعم	
	ذكر	6 %23.1	6 %23.1	14 %53.8	26 %52.0
	أنثى	11 %45.8	3 %12.5	10 %41.7	24 %48.0
	المجموع	17 %94.0	9 %18.0	24 %34.5	50 %100.0
7	إمكانية العودة / مكان السكن	لا	غير متأكد	نعم	
	أطفال المخيم	14 %36.8	4 %10.5	20 %52.6	38 %76.0
	الأطفال من خارج المخيم	3 %25.0	5 %41.7	4 %33.3	12 %24.0
	المجموع	17 %34.0	9 %18.0	24 %48.5	50 %100.0

الخلاصة

تناولت في هذه الدراسة اتجاهات الأطفال ومعارفهم في مخيمات محافظة بيت لحم نحو مكان السكن الأصلي لعائلاتهم المهجّرة ونحو العودة إليه. وركزنا على دراسة أربعة محاور رئيسة هي: معرفة الفرد وانتمائه للمكان الأصلي وتفاصيل الحياة السابقة، وأهمية المكان الأصلي للفرد وأسرته واهتمامه واهتمام أسرته بالعودة، وشعوره نحو العيش في المخيم وتخيله للحياة لو بقيت العائلة في المكان الأصلي. ومعرفته بمعنى حقّ العودة وقرارات حقّ العودة الدولية، واعتقاده بإمكانية تحقيق العودة وكيفيتها. وجهات/ مصادر التوعية بحق العودة والمكان الأصلي. وتوصلت الدّراسة إلى عدد من الاستنتاجات أهمها: أن هنالك إعادة إنتاج للهوية "الجمعية" التي هي في سياق حالة اللجوء القسري هوية المكان الأصلي عبر الأجيال المتلاحقة، كما أشار كلود دوبار (2009)، وقد تجسد هذا في تعريف جميع الأطفال لأنفسهم، نسبةً إلى المكان الأصلي الذي هجّرت منه عائلاتهم عام 1948.

وفي إطار النتائج نفسها، تبين لي أن هنالك تفاوتًا في نسبة المعرفة (سواء كانت قليلة أو كثيرة) عن حياة الأسرة، والبيت، والمزارع في المكان الأصلي بين الأطفال المبحوثين (انظر الجدول1)، ولكن على الرغم من ذلك، فإن الأطفال لديهم معلومات/ معرفة واضحة عن الواقع الاجتماعي والمعيشي لعائلاتهم التي اقتلعت من أماكنها الأصلية. ونستنتج مما سبق، أنّ معرفة الأطفال عن ذكريات الماضي (حياة الأسرة، والبيت، والمزارع في المكان الأصلي) جاءت ضمن سياق جمعي؛ أي ضمن "ذاكرة جماعية" (Halbwachs, 1950/1980)، والتي تجعل الفاعلين الاجتماعيين (الأفراد) يفسرون تجاربهم بطرق متشابهة ويعطون المعاني أنفسها لهذه التجارب في حالات التهجير القسري. ومن الجدير ذكره هنا، أن المعرفة عن المكان الأصلي، انتقلت لذاكرة الأجيال الحديثة للاجئين الفلسطينيين عن طريق العائلة، وبشكل خاص الأجيال الأكبر سناً.

بالإضافة الى ذلك، فالتهجير القسري الذي تأثر به هؤلاء الأطفال ساعد على تكوين الذاكرة عن المكان الأصلي وتعميق فكرة الحنين إلى الوطن الأم، وهي سمات ظلت واضحة في الحياة الاجتماعية والعاطفية والسياسية للاجئين الفلسطينيين، وبشكل خاص سكّان المخيّمات.

أما بالنسبة إلى معرفة الأطفال المبحوثين بقرار حقّ العودة (194)، فوجدت الدراسة أن نسبة الأطفال الذين يعرفون كثيراً عن القرار هي ضئيلة جداً. فالأطفال يعرفون عن مكان سكن عائلاتهم الأصلي وواقعهم المهجّر بشكل عام (انظر إجابات الأطفال 1، 3، 4، 5، 6 في الجداول 1)، ولكن عددًا قليلا منهم يعرفون عن التفاصيل السياسية لهذا التهجير. وهذا يشير إلى أنّ ما تتعلمه الأجيال عن واقعها السياسي يقل بمرور الزمن.

وتوصلت الدراسة إلى أن هنالك ضعفًا في نسبة المعرفة عن واقع التهجير القسري، خاصة للأطفال الذين يعيشون في الشتات، كما أثبتته دراسة (عيسى 2004؛ شطي وهونت 2008؛ جامعة أكسفورد 2001)، حيث بينت تلك الدراسات أنّ معرفة أجيال اللاجئين في الشتات، عن واقعها المهجّر، مبهمة وثانوية ولا تتعدى معرفة الطفل لاسم المكان الأصلي الذي هجّرت منه عائلته في بعض الأحيان.

وتوصلت الدراسة إلى أن "مواقع الذاكرة" كالصور التذكارية، والأفلام الوثائقية، ومفتاح البيت، وطابو الأرض، وأحاديث التهجير عن المكان الأصلي، لعبت دوراً حيوياً في تعزيز الذكريات ومشاعر الحنين إلى الوطن الأم، كما ساعدت على رسم صورة مادية ملموسة للمكان المتخيل (الأصلي) في ذاكرة الأجيال الحديثة للاجئين الفلسطينيين.

ومن هنا نستنتج أنّ "أماكن الذاكرة" مهمة في هذا السياق؛ لأنها تعزز في ذاكرة الأطفال مفاهيم ورموزًا وطنية وثقافية حية يصعب نسيانها. فالهدف الأكبر لنظرية "أماكن الذاكرة" كما يقول بيير نورا (1989)، هو سد الطريق على مفاعل النسيان، وتحويل الأشياء غير المادية إلى أشياء مادية ملموسة. هذا ومن الجدير ذكره، أنه عندما تتعرض ذاكرة الفاعلين الاجتماعيين (الأفراد) للتلف أو للنسيان تبقى ذاكرة الأمكنة. فالمكان هو حافظ الذاكرة الجماعية وأحد معالمها ورموزها في الوقت نفسه.

ووجدت الدراسة أن مردّ نزوع الأطفال إلى استخدام القوة (الكفاح المسلح والمقاومة) ضد الصهاينة كإمكانية لتحقيق العودة، هو عدم الثقة بنتائج التفاوض، أو بمعنى آخر، هو عدم رضاهم عن عملية السلام التي جرت وما تزال تجري بين الصهاينة والقيادة الفلسطينية، ويرون أنّها مفاوضات عبثية لا قيمة لها وهي لم تحقق للشعب الفلسطيني أي شيء يذكر على مدى ما يقرب من (18) عاماً. وهنا، لابد من الإشارة، إلى أنه لم يذكر أحد من الأطفال المبحوثين التفاوض مع الإسرائيليين آلية لإمكانية تحقيق العودة.

وخلصت الدراسة إلى أن الأطفال وعائلاتهم متمسكون بحقّ العودة إلى قراهم ومدنهم الأصلية، على الرغم من مرور (63) عاماً على تهجيرهم، وتغيّر المعالم البنيوية لأماكنهم الأصلية. وقد يعود ذلك إلى عدة عوامل أو افتراضات منها:

- الأوضاع الاجتماعية والمعيشية الصعبة التي يعيشها غالبية اللاجئين الفلسطينيين في المخيمات والمناطق، سواء الموجودة في فلسطين المحتلة أو في الشتات.
- وجود حس جماعي مشترك بين اللاجئين، يعمل على إعادة إنتاج مشاعر الحنين إلى الوطن الأصلي.
- الاحتلال الإسرائيلي المتواصل للأراضي الفلسطينية، يحفز الذاكرة الوطنية ويحض الفلسطينيين على التمسك بأماكنهم الأصلية.[1] والأهم من ذلك كله أن عملية الالتصاق بين الذكريات الجمعية للاجئين الفلسطينيين، والمكان الأصلي الذي هجّروا منه؛ أدى إلى حدوث عملية دمج واتحاد لهذه الذكريات، وبالتالي انتقالها إلى الأجيال القادمة. بحسب ما أكده كل من موريس هالبواكس (1980) وكروسر (1992).[2] أي أن هنالك استمرارية في تمسك أجيال اللاجئين بالعودة إلى قراهم ومدنهم الأصلية.

---

[1] للمزيد من التفاصيل حول هذه المسألة، انظر إلى تجربة التهجير التي تعرضت لها عائلة غادة الكرمي (2005: 111).

[2] نقلاً عن سلمى الشوا (2005: 252).

المراجع:

أولا: المراجع العربية:

- إبراهيم، نصار. 2007. اللجوء الفلسطيني: مفهوم الوطن والمكان. القدس: مركز المعلومات البديلة.
- اشتية، عماد. 2009. "دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية في تعزيز ثقافة حق العودة عند اللاجئين الفلسطينيين: دراسة تطبيقية على مركز يافا الثقافي بمخيم بلاطة." *مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات* 15: 2-32.
- أيوب، نزار. 2008. "التهجير القسري والتطير العرقي." *مجلة شؤون تنموية*. 34: 19-44.
- إيلان، بابيه. 2004. "رداً على مقالة بني موريس سياسة بوسائل أخرى." *كنعان* 118: 45- 51.
- أبو حيط، خالد. 2003. "المقدس الفلسطيني: حق العودة أولا." *باحث للدراسات* 1: 86-46.
- أبو ستة، سلمان. 1999. *اللاجئون وحق العودة*. مصر: المركز القومي للدراسات والتوثيق..

ـــــــــــــــــ. 2001. *حق العودة مقدس وقانوني وممكن*. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

- باجاجي، رمضان وجاندرو، مونيك شميلييه. 1996. *حق العودة للشعب الفلسطيني ومبادئ تطبيقه*. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.
- بديل. 2000. *العودة إلى ديارهم الحل العادل والدائم لقضية اللاجئين الفلسطينيين*. بيت لحم.
- بوكو، ريكاردو. 2010. "اللاجئون الفلسطينيون والانروا: تاريخ متداخل." ترجمة جنان الأحمد. *مجلة إضافات: المجلة العربية لعلم الاجتماع* 11: 141-168.
- بركات، حليم وبيتر ضود. 1968. *النازحون: اقتلاع ونفي، دراسة اجتماعية علمية*. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.
- براديل، جيرو دو لا. 1993. *مبادئ تطبيق حق العودة*، ترجمة لمياء الخطيب، في كتاب حق العودة للشعب الفلسطيني ومبادئ تطبيقه، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.
- التتر، باسمة. 2004. *اتجاهات أطفال المخيمات الفلسطينية في فلسطين نحو انتفاضة الأقصى، دراسة تحليلية وصفية لعينة من أطفال مخيم جباليا*. القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية (رسالة ماجستير منشورة).
- تاكمبرغ، لِكس. 2003. *وضع اللاجئين الفلسطينيين في القانون الدولي*. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.
- تماري، سليم. 1991. *الهجرة كظاهرة عالمية*. القدس: مركز الدراسات الدينية والتراثية في الأرضي المقدسة.

- الزعبي، أحمد محمد. 1994. *أسس علم النفس الاجتماعي*. صنعاء: الحكمة اليمانية للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.

- جامعة أكسفورد. 2001. *الأطفال والمراهقون في الأسرة الفلسطينية: العيش في ظل تأثيرات النزاعات طويلة الأمد والهجرة القسرية*. لندن: جامعة أكسفورد – مركز دراسات اللاجئين،.

- جرار، ناجح. 1994. *اللاجئون الفلسطينيون مدخل للمراجعة واستقراء المستقبل*. القدس: الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشئون الدولية.

- جرار، ناجح. 1997. *اللاجئ الفلسطيني..... إلى أين؟* رام الله: مشروع التنمية البشرية المستدامة.

- جونسون، بني، 2008. *العيش سوياً في شظايا مجتمع: ديناميكيات القرابة، والمكان والأمة*. في كتاب الحياة تحت الاحتلال في الضفّة والقطاع: الحراك الاجتماعي والكفاح من أجل البقاء. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

- الحولي، عليان. 2009. "دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية الفلسطينية في تكريس حق العودة من وجهة نظر طلاب الجامعات الفلسطينية في قطاع غزة." *مجلة الجامعة الإسلامية* 17(1) 529 – 564.

- حنفي، ساري. 1996."الفلسطينيون في سوريا وعملية السلام." *مجلة الدراسات الفلسطينية* 28: 85- 110.

ـــــــــ. 2001. *هنا وهناك: نحو تحليل للعلاقة بين الشتات الفلسطيني والمركز*. رام الله: مواطن- مؤسسة الدراسات المقدسية.

ـــــــــ. 2002. *استيعاب اللاجئين الفلسطينيين: قراءة نقدية للدراسات ذات النزعة الاقتصادية* في عصام حسن، جسر العودة: *حقوق اللاجئين الفلسطينيين في ظل مسارات التسوية*. القاهرة: مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان.

ـــــــــ. 2008. "عودة اللاجئين الفلسطينيين: نحو فهم سوسيولوجي لها." *مجلة إضافات- المجلة العربية لعلم الاجتماع* 2: 59-73.

ـــــــــ. 2009. "التطهير المكاني: محاولة لفهم استراتيجيات المشروع الكولونيالي الإسرائيلي." مجلة المستقبل العربي 360: 66-84.

- خليفة، عبد اللطيف. 1990. *سيكولوجية الاتجاهات*. القاهرة: دار الغريب للطباعة والنشر.

- خوري، الياس. 2000. "الوطن المخيم- الوطن المنفى." *مجلة الدراسات الفلسطينية* 41: 137 – 142.

-دوبار، كلود. 2009. "أزمة الهويات." *مجلة إضافات- المجلة العربية لعلم الاجتماع* 7: 59-73.

- دكروب، محمد حسين. 1984. الانتروبولوجيا: الذاكرة والمعاش. بيروت: معهد الإنماء العربي.

- الزبن، صابرين. 2007. هوية اللاجئين في ثقافتهم ولغتهم المحكية، بحث مقارن ما بين الجيل الثاني والثالث للنكبة، مخيم الجلزون نموذجا. بيت لحم: بديل.

- زريق، إيليا. 1997. *اللاجئون الفلسطينيون والعملية السلمية*. ترجمة محمود شريتح. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

ـــــــــــ. 2000. "نقاط أساسية يجب أخذها في الاعتبار في مفاوضات الحل النهائي الخاصة بقضية اللاجئين." بيروت: *مجلة الدراسات الفلسطينية* 41: 59- 67.

- سعدي، احمد. 2006. *الذاكرة والهوية*، في كتاب "نحو صياغة رواية تاريخية للنكبة؛ إشكاليات وتحديات، تحرير: مصطفى كبها. حيفا: مركز مدى الكرمل- المركز العربي للدراسات الاجتماعية التطبيقية.

- سعيد، ادوارد. 2002. "التلفيق: الذاكرة والمكان." *مجلة الكرمل* 70: 94-102.

-سمارة، عادل. 2000. *اللاجئون الفلسطينيون بين حق العودة واستدخال الهزيمة " قراءة في تخليع حق العودة"*. الولايات المتحدة الأمريكية: مؤسسة فلسطين للنشر.

-سوكاح، زهير. 2008. "الهوية بين الكتابة التاريخية والذاكرة الجمعية: النموذج الذَاكراتي الفلسطيني." *مجلة رؤى تربوية – مركز القطان للبحث والتطوير التربوي* 27: 81- 84.

-شاهين، هواش. 2005 . *اللاجئون الفلسطينيون وحق العودة والتعويض في القانون الدولي* في كتاب حق العودة ... مشكلة أم حل؟ محاضرات ومداخلات قُدّمت في ندوات أقامتها الهيئة الفلسطينية لحق العودة في المحافظات السورية الهيئة الفلسطينية لحق العودة.

-شطي، نور الضحى وهونت، غيليان لواندو. 2007. *أطفال فلسطين والهجرة: العيش في ظل الهجرة القسرية في الشرق الأوسط*. ترجمة باسم سرحان. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

-شولز، هيلينا. 2005. *الشتات الفلسطيني بين القومية وما وراء القومية* من كتاب "الفلسطينيون في أوروبا: إشكاليات الهوية والتكيف". رام الله: مؤسسة الدراسات المقدسية.

-الشوملي, جبرا. 2007. *حق العودة في خطاب منظمة التحرير الفلسطينية*. بيت لحم: بديل.

-الشوا، سلمى. 2003. *الفلسطينيون في اليونان: وحدة الانتماء مع الشتات*. في عباس شبلاق. الفلسطينيون في أوروبا: إشكاليات التكيف والبقاء. رام الله: مؤسسة الدراسات المقدسية.

-صايغ، روزماري. 1980. *الفلاحون الفلسطينيون من الاقتلاع إلى الثورة*. ترجمة: خالد عايد. بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية.

ـــــــــــــ. 2009. *تجسيدات الهوية لدى مخيمات اللاجئين الفلسطينيين رؤية جديدة لل"محلي" والـ"وطني*. بيت لحم: بديل.

-غازيت، شلومو. 1995. "قضية اللاجئين الفلسطينيين: الحل الدائم من منظور إسرائيلي." *مجلة الدراسات الفلسطينية* 22: 78 – 90.

-غانم، هنيدة. 2009. *النكبة*. حيفا: مدى الكرمل- المركز العربي للدراسات التطبيقية.

-عبد الكريم، إبراهيم. 2006. *اتجاهات حل مشكلة اللاجئين في التفاهمات الإسرائيلية الفلسطينية غير الرسمية*. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.

-عبد الغني، دلال. 2005. *بين عالمين: الجالية الفلسطينية في السويد*، من كتاب "الفلسطينيون في أوروبا: إشكاليات الهوية والتكيف. رام الله: مؤسسة الدراسات المقدسية.

-عقل، محمود. 1992. *عين بيت الماء (مخيم اللاجئين الفلسطينيين) دراسة في علم اجتماع المخيمات*. القدس: الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية.

-عبد الهادي، أنور. 2002. *ديمغرافية اللجوء الفلسطيني وحق العودة*. الإمارات العربية المتحدة: مركز زايد للتنسيق والمتابعة.

-عدوان، أكرم. 2010. " الموقف الإسرائيلي من قضية حق العودة للشعب الفلسطيني 1948 – 1967." *مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات* 19: 375 – 394.

-عدوان، لورا. 2009. *صورة فلسطين في روايات مجموعة من اللاجئين في مخيمي قلنديا واليرموك*. رسالة ماجستير قدمت في جامعة بيرزيت.

-عمرو، تيسير. 2007 . *قرية بيت جبرين في الذاكرة الجماعية*. رسالة ماجستير قدمت في جامعة بيرزيت.

-عويضة، رياض. 1998. *اللاجئون الفلسطينيون في مخيمات الضفة الغربية نحو الحل الدائم لمشكلتهم*. رسالة ماجستير قدمت في جامعة بير زيت.

-فياض، علي. 2001. *مكانة حق العودة في الفكر السياسي الفلسطيني*. أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية.

-القلقيلي، عبد الفتاح. 2004. *الأرض في ذاكرة الفلسطينيين اعتماداً على التاريخ الشفوي في مخيم جنين*. رام الله: شمل – مركز اللاجئين والشتات،.

-كناعنة، شريف. 2000. *الشتات الفلسطيني: هجرة أم تهجير*. رام الله: شمل – مركز اللاجئين والشتات.

-كرمي، غادة. 2005. *حالة هجرة مبكرة ومعضلات التكيف والاندماج (شهادة شخصية)*. في كتاب الفلسطينيون في أوروبا- إشكالية الهوية والتكيف. رام الله: مؤسسة الدراسات المقدسية.

-كيمرلنغ، باروخ. 1998. "حق العودة: كم والى أين؟ مناقشة لكتاب إيليا زريق Palestinian refugees." *مجلة الدراسات الفلسطينية* 36: 148 -156.

-مارشال، جوردون. 2000. موسوعة علم الاجتماع، ترجمة محمد الجوهري.[وآخرون]. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

-محمود، لينا. 2005. بريطانيون فلسطينيون؛ تحولات مجتمع في المنفى: في كتاب الفلسطينيون في أوروبا إشكالية الهوية والتكيف. رام الله: مؤسسة الدراسات المقدسية.

-مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات. 2006. *استطلاع رأي اللاجئين الفلسطينيين في لبنان*. بيروت.

-المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسيحية. 2003. *آراء اللاجئين في المناطق الفلسطينية ولبنان من قضية اللاجئين في الحل الدائم*. رام الله.

-موريس، بني. 1993. *طرد الفلسطينيين ولادة مشكلة اللاجئين، وثيقة إسرائيلية*. عَمان: دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية.

-محيي الدين، صابر. 2003. *حق العودة في المواقف الرسمية الفلسطينية من 1998-2002*، في كتاب اللاجئون الفلسطينيون جوهر الصراع وعقدة التسوية من مدريد إلى خارطة الطريق- جورج حبش. دمشق: مركز دراسات الغد العربي.

-مصالحة، نور. 2009. الذاكرة الجماعية، المقاومة المحلـية والنضال من أجل العودة: الفلسطينيّون في إسرائيل، ستّة عقود بعد النكبة. حيفا: مدى الكرمل- المركز العربي للدراسات التطبيقية.

-مصرية، نورما. 1997. "في سوسيولوجيا أسباب فشل توطين اللاجئين الفلسطينيين." *السياسة الفلسطينية* 13: 65- 93.

-مؤسسة مشرقيات. 2001. *نتائج استطلاع رأي حول اللاجئين والعودة*. غزة: شركة مطابع الجراح.

-المؤسسة الفلسطينية لحقوق الإنسان" شاهد". 2004. *اللاجئون الفلسطينيون في لبنان والعودة* "دراسة ميدانية." لبنان.

-ميعاري، محمود. 2004. "أثر الانتفاضة في الهوية الجماعية في الضفة الغربية وقطاع غزة." *مجلة الدراسات الفلسطينية* 58: 59- 66.

-ميتشل، دينكن. 1986. معجم *علم الاجتماع*، ترجمـة إحسان الحسـن. بيروت: دار الطليعة.

-النبريص، خالد وأبو العيون، جولييت. 2005. *حان الوقت لهم لان يتكلموا ولنا أن نصغي: نتائج الدراسة* الميدانية لمشروع التوعية بحقوق اللاجئين الفلسطينيين في مخيم الجلزون. رام الله. بانوراما: المركز الفلسطيني لتعميم الديمقراطية وتنمية المجتمع.

-نواف، سلام. 1994. "بين العودة والتوطين: أي حل، المستقبل الوجود الفلسطيني في لبنان؟" *مجلة الدراسات الفلسطينية* 19: 29 –48.

-يحيى، عادل. 1998. *اللاجئون الفلسطينيون: 1948-1998 (تأريخ شفوي)*. رام الله: المؤسسة الفلسطينية للتبادل الثقافي.

ثانيا: المراجع الأجنبية:

Agterhuis, Sander .2004. *The right to Return and its Practical Application*. Greece: Aristotle University of Thessaloniki.

Anis, Al-Qasem .1999. *The right of Return in International Law*. From book- *the Palestinian Exodus 1948-1998*. UK: Garnet Publishing Limited.

Appadurai, Arjun. 1991. *Global Ethnos capes: Notes and Queries for a Transnational Anthropology*. in Recapturing Anthropology: Working in the Present. Richard Fox, ed. Santa Fe: School of American Research Press.

BADIL Resource Center .2006. *Palestinian Refugee Children: International Protection and Durable Solutions* . Bethlehem: BADIL Resource Center for Palestinian Residency and Refugees' Rights.

Brun, Cathrine. 2001. "Reterritorializing the Relationship between People and Place in Refugee Studies." *Geografiska Annaler* 83(1): 15-25.

Eastmond, Marita. 2002. *Reconstruction and the politics of homecoming: Repatriation of refugees to Cambodia*. University of Gothenburg Working Paper no 1.

Kimbro, Stephanie L. 2000. *Les Lieux de Mémoire: French Collective Memory of World War II in the Events of May 1968*. Master's thesis, Miami University.

Jeffrey K. Olick .2008 ."Collective Memory", *International Encyclopedia of the Social Sciences*. edited by William A. Darity, Jr. Detroit: Macmillan Reference USA 2: 7-8.

Gren, Nina. 2002. *Imagined Return: The Making of Home, Place and Belonging Among Palestinian Camp Refugees on the West Bank*. G.teborg University: Department of Social Anthropology.

Gupta, Akhil and James Ferguson .1992. "Beyond Culture: Space, and the Politics of Difference." *Cultural Anthropology* 7(1): 6-23.

Halbwachs, Maurice. (1950/1980). *Collective Memory*, edited by M. Douglas. New York: Harper and Row.

Hanafi, Sari. 2008. *Palestinian Refugee Camps: Disciplinary Space and Territory of Exception*. Italy: European University Institute.

Kossaifi, George. F. 1996. *The Palestinian refugees and the right of return*, Louvain-la-Neuve: Centre d'Etudes et de Recherches sur le Monde Arab.

Said, Edward W. 1986. *After the last sky*. New York: Pantheon Books.

Shiblak, Abbas. 2009. The Palestinian Refugee Issue: A Palestinian Perspective. Middle East and North Africa Program. London: Chatham House.

Shami, Seteney. 1996. "Transnationalism and Refugee Studies: Rethinking Forced Migration and Identity in the Middle East." *Journal of Refugee StatUs* 9(1): 3-26.

Schmidt, Alexa .2008. *Place Attachment and Forced Migration: Reimagining Home, Roots, and Environmentalism*. Oregon: Lewis & Clark College Portland.

Simich, Laura .2010. *Refugee mental health and the meaning of home*. Canada: University of Toronto 68-72.

Ross, Marc H. 2010. *Collective Memory and How the Present Shapes the Past: A Philadelphia Story about George Washington and Slavery*. Montreal Canada. Bryn Mawr College.Paper prepared for presentation at the Canadian Political Science Association Meeting: Concordia University.

Schwartz, Barry. 1996. "Introduction: The Expansion of the Past." *Qualitative Sociology* 19(3): 275-282.

Schwartz, Barry. 1997. "Collective Memory and History: How Abraham Lincoln Became a Symbol of Racial Equality." *The Sociological Quarterly* 38(3): 469-496.

Zerubavel, Eviatar. 1996. "Social Memories: Steps to a Sociological Past." *Qualitative Sociology* 19(3): 283-299.

Malkki, Liisa.1992. "National Geographic: The Rooting of Peoples and the Territorialization of National Identity among Scholars and Refugees." *Cultural Anthropology Space, Identity, and the Politics of Difference* 7: 24-44.

ثالثا: المراجع الالكترونية (الإنترنت).

-أدوات البحث العلمي. 2008. "المقابلة، الملاحظة ، الأساليب الاسقاطية." استرجعت بتاريخ 2008/10/11 من موقع (www.iugaza.edu.ps/emp/emp_folders/530/research_tools1.ppt)

-الرنتيسي، محمد. 2008. "جيل النكبة: ذاكرة متسلحة بالأمل وإصرار لا يلين على العودة." استرجعت بتاريخ 2008/5/12. من موقع http://www.addustour.com/ViewarchiveTopic.aspx?ac=\arabicandinter\2008\05\arabicandinter_issue217_day12_id49134.htm).

-عيون السود، نزار. 2008. "الذاكرة وأهمية التوثيق." جريدة الأسبوع الأدبي 1103. استرجعت بتاريخ 2008/5/17 من موقع (http://www.awu-dam.org/esbou1000/1103/isb1103-014.htm)
-مركز البحوث والدراسات المستقبلية. 2006. "مرحلة الطفولة." استرجعت بتاريخ 2006/6/7 من موقع (http://www.nesasy.org/content/view/2251/199)

-الزناد، تراكي. 1994. "ذاكرة المعيش: من أجل سوسيولوجيا المعيش." جريدة الشرق الأوسط". استرجعت بتاريخ 2008/10/24 من موقع ((ttp://www.aawsat.com/details.asp?section=19&article=442621&issueno=10557
-بشارة، عزمي، 2008. "فلسطينياً في الذاكرة والتاريخ." استرجعت بتاريخ 2010/10/25 من موقع (http://www.ajras.org/?page=show_details&Id=84&table=studies)

-سوكاح،زهير. 2006. "مفهوم الذاكرة الجمعية عند موريس هالبواكس." الحوار المتمدن 1755 .استرجعت بتاريخ 2006/12/5 من موقع (http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=82628).

-اليحياوي، شهاب. 2007. "الذاكرة الجماعية والسلوك الفضائي للفاعلين الاجتماعيين." استرجعت بتاريخ 2010/10/25، من موقع (http://www.ejtemay.com/archive/index.php/t-4274.html)
-منتدى الانثروبولوجيين والاجتماعيين العرب. 2010. "الفرد شوتز". استرجعت بتاريخ 2010/12/25، من موقع (http://anthro.ahlamontada.net/t2398-topic)

-مجدلاوي، سيد. 2010. "قنبلة تاريخية يلقي بها المؤرخ اليهودي بيني موريس في كتابه الجديد." استرجعت بتاريخ 2010- 05-31، من موقع (www.ajras.org/?page=ShowNewsDetails&Id=1633)

-البحث العلمي والاعلام والاتصال. 2009. "مفهوم البحث العلمي." استرجعت بتاريخ 2009/5/28، من موقع (http://slim.forumalgerie.net/t2-topic)

-السقا، أباهر. 2008. "محاضرة في جامعة بير زيت بعنوان: مفاهيم الوطن والأمة في تكون فلسطين المعاصرة". استرجعت بتاريخ: 2008/6/23، من موقع:
(http://www.maannews.net/arb/ViewDetails.aspx?ID=111976)

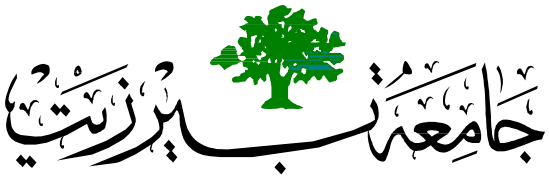

كليّة الدراسات العليا

برنامج الماجستير في علم الاجتماع

استبانة

بعنوان : اتّجاهات الأطفال ومعارفهم في مخيّمات محافظة بيت لحم نحو مكان السكن الأصلي لعائلاتهم المهجرة ونحو العودة إليه

إعداد الطالب : نائل المساعيد

إشراف الدكتورة : رندة ناصر

العام 2009

القسم الأول: الخلفية الاجتماعية للطفل وعائلته:

1 – الجنس: 1- ذكر 2- أنثى.

2 – العمر.....

3- **مكان السكن:** 1- المخيم 2- خارج المخيم

4 – المرحلة التعليمية للمبحوث : 1- إعدادي 2- ثانوي 3- جامعي 4-غير ملتحق بالمدرسة.

5 – المستوى التعليمي للأب والأم:

1- أمّيّ. 2- ملم يقرأ ويكتب. 3-ابتدائيّ. 4-إعداديّ. 5- ثانويّ. 6- دبلوم.
7- جامعيّ 8- ماجستير 9- دكتوراة.

6 – عمل الأب:

1- عامل. 2- عاطل عن العمل. 3- موظف حكوميّ. 4- موظف قطاع خاص. 5- تاجر. 6- مزارع.
7- غير ذلك حدد..... .

7 – عمل **الأم:** 1- ربّة منزل. 2- موظّفة. 3- عاملة.

8- عمر الأب والأم: 1- 35 – 44 سنة. **2**- 45 – 54 سنة. **3**- 55 – 64 سنة. **4**- 65 سنة فما فوق.

9 – عدد الأخوة والأخوات في الأسرة : .....

10 – الوضع السكني للأسرة، أي كيف تقيّم وضع منزلكم؟.....

1- جيد 2- متوسط 3- رديء.

11– الوضع الاقتصادي للأسرة، أي كيف تقيم وضعكم الاقتصادي؟.....

1- جيد 2- متوسط 3- رديء

12 – التوجهات الاجتماعية للأسرة (ماذا تعتبر أسرتك).

1) – محافظة 2)- متحررة/ ليبرالية 3)- تقدمية يسارية 4) إسلامية.

13 – التأييد الحزبي (تؤيد أي من الأحزاب والحركات السياسية):

1- فتح 2- حماس 3- جبهة ديمقراطية 4 – حزب الشعب 5-جبهة شعبية
6- الجهاد الإسلامي 7- مستقل 8- أخر، اذكره.....

14–هل تعرّض أحد أفراد أسرتك للاعتقال، أو الاستشهاد، أو الإصابة: 0- لا. 1- نعم.

15– من تعرض من أفراد أسرتك للأذى ؟ .....

16 **ما هو نوع الأذى الذي تعرض له؟.....**

القسم الثاني:

اتّجاهات الأطفال ومعارفهم في مخيّمات محافظة بيت لحم نحو مكان السكن الأصلي لعائلاتهم المهجرة ونحو العودة إليه

1- من أين أنتَ/ أنتِ؟ .....

وما هي أصول عائلتك؟.....

ومن أين جاءت؟ .....

2- أين يقع المكان الأصلي الذي هجرت منه أسرتكَ/كِ؟

.....

3- ماذا تعرف/ين عن حياة أسرتك المهجّرة عن البلد، البيت، المزارع؟ صف ذلك.

.....

.....

.....

4- هل شاهدت المكان الأصلي الذي هجّرت منه عائلتك؟ وكيف كان ذلك؟

.....

5- هل تمتلك أسرتك أي وثائق، صور، مفتاح البيت تشير إلى المكان الأصلي؟ وما هي هذه الوثائق؟.....

.....

.....

6- ما أهمية هذا المكان (القرية، البلد) لك ولعائلتك؟ وهل هنالك فرق بين مشاعرك تجاهها، ومشاعر أبيك وأمك تجاهها ؟

.....

.....

.....

7- ما هو شعورك نحو المخيّم والحياة فيه الآن؟ وهل تتخيل/ تتخيلين حياة مختلفة لو بقيت عائلتك دون تهجير ؟

.....

.....

8- هل لديك حنين واهتمامات بالعودة إلى المكان الأصلي؟ وهل لدى أسرتك اهتمامات نحو العودة إلى المكان الأصلي الذي هجّروا منه؟ وكيف يعبرون عن اهتماماتهم بالعودة؟ صف ذلك؟

.....

.....

.....

.....

9- هل تعتقد أن هنالك إمكانية للعودة، وكيف سيتم تحقيق ذلك؟

.....

.....

.....

10- هل سمعت بالقرار (194)، وماذا تعرف عنه؟

.....

.....

.....

11- ماذا يعني لك حقّ العودة ؟(شو بيعنيلك حق العودة)؟

.....

.....

.....

12- مَن عرّفك (أخبرك) عن حياة أسرتك في المكان الأصلي؟

.....

.....

13- من أين سمعت عن حقّ اللاجئين الفلسطينيّين بالعودة؟

.....

.....

.....